رواية

عُد إلى الله

ولو أذنبت ألف مرة

عبدالرحيم أنجار

عد إلى الله

ولو أذنبت ألف مرة

عبد الرحيم أنجار

أبو زكرياء

البداية

من تأليف : عبد الرحيم أنجار

أبو زكرياء

تصميم الاغلفة : راما الملاجي

تقديم :

عادة ما يبدأ الكُتاب كتبهم بتقديم شكر سواء لمن ساعدهم في إتمام العمل أو من كان سببا في إنشائهم لهذا العمل ، لكن الأغلبية تشكر الأهل والأحباب .

إلا انني أردت تغيير الأمر هذه المرة ، فعوض أن أبدأ بشكر فسأختار كتابة شعر قريب إلى قلبي كقرب الخنصر من البنصر .

مسكت القلم لأكتب عن جراحاتـــي

فبكى القلـم لسماعـــه كـــلماتـــــي

وأبـــى أن يكـتب لثقـــل عباراتـــي

فـــكم كانـــت هـــي ذكـريـاتـــــي

إن الحقيقة تبقى حب والدتي وحب الناس في عيني خرافات

إليكِ أهدي هذا الكتاب *: أمي*

بسم الله الرحمن الرحيم

يكتب ...

يحيى

☆☆

ها هو ذا الفتى يجلس وحيدا في غرفته كعادته ، كان منهمكا في قراءة روايته ، الرواية التي استغرق فيها اكثر من أسبوعين وهذا ليس من عادته ؛ فقد كان يقرأ الرواية في اسبوع واحد أو أقل في بعض الأحيان ، لكنه هذه المرة لم يفعل ، ربما به خطب ما أو حل به شيء ، بينما يقرأ روايته خانه التركيز وعادت به الذكريات إلى زمن ولى ، إلى وقت كان فيه أكثر سعادة وفي أبهى حُلَله ، يقول لنفسه هل من الممكن أن يشتاق المرء إلى نفسه ؟ هل يمكن للشخص أن يكون قدوة لنفسه ؟ تداخلت الأسئلة في عقله والجواب يعيشه بنفسه ، فها هو ذا يشتاق لنفسه التي كان عليها قبل أربع سنوات مضت ، حتى أنه يتخذها قدوة له في أعماله وأقواله ، لطالما سمع أن الطبيعي هو أن القدوة إما تكون أنفسنا في المستقبل أو شخصا آخر ، لكنه خالف الطبيعي ؛ فكيف يمكن أن تكون نفسه التي يكبرها بأربع سنوات قدوة له ، قدوة فيما كانت تفعله ، و ما كانت عليه ، ينظر إليها الآن نظرة جمال كأنه لم يكن كذلك من قبل ، وقد آن الأوان ليعود كما كان عليه من قبل ، فإن بقي على ما هو عليه الآن لضل عن السبيل ولانقطعت به السبل ، وسيكون مصيره الهلاك كمن مر في نفس الطريق من قبله .

قبل أربع سنوات

كان يحيى في مقتبل عمره ، لا يؤمن بتاتا بما يسمونه" مرحلة *المراهقة* " طالما يقول مع نفسه أن هذه التسمية من أصل أجنبي ، وأنها مجرد طريقة جديدة لغزو عقول الشباب كي يظنوا أنفسهم أنهم غير محاسبين على أفعالهم في عمرهم ذاك ، وأنها مرحلة عمرية هامة لهم ، ويسمح لهم بفعل أي شيء يرغبون به بدون حدود وبدون أن يتدخل أي أحد في أعمالهم تلك ، حتى أن بعضهم يتخذ هذه التسمية ذريعة كي لا يقوم بواجباته الدينية ؛ من صلاة وصيام وصدقة وغيرها من الفرائض التي فُرضت على كل من وصل سن البلوغ سواء كان ذكرا أو أنثى ، والمخزي في الأمر أن بعضهم يستعين بهذه المرحلة كي يتخذ صاحبة أو بالأحرى كي يكَوِّن صداقات ويتخذ صاحبات ، فيستحل لنفسه الحديث مع هذه ومع تلك ، ويعِدُ هذه بحياة أبدية معا ، وتلك بحب صادق أزلي ، فيخدع هذه بأحلام مزيفة ، وتلك بوعود وردية ، وبين هذه وتلك مئات الإناث اللائي يحدث معهن نفس الشيء ، فلا ندري هل يفعلن هذا برضاهن ، أم فعلا قد وقعن في مصيدة المكر والخداع ، سواء كان الأول أو الثاني يبقى العقاب واحد؛ ملائكة يكتبون كل صغيرة

وكبيرة ، وأزعم أن الجميع يعلم هذا لكنهم لا يأخذونه في محمل الجد ، فهم يتناسون أن الموت آت لا مفر منه أبدا .

كان يحيى يستدل ببعض الصحابة الذين هم في نفس هذه المرحلة العمرية لكنهم فعلوا ما لم يفعله من كان كبيرا ، فمنهم من شارك في الحروب ببسالة ، ومنهم من كان قائدا لجيوش هائلة ، فيقول مع نفسه :

_ لو كانت "*المراهقة* " شيئا حقيقيا لما وجدنا هؤلاء الصحابة قد حققوا كل ما حققوه في صغرهم ، لو كانت صادقة لما كان أول من أسلم من الفتيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهذا يعني شيئا واحدا ؛ وهو أن هذه التسمية اختلقها المتغطرسون كي يستولوا على عقول أبناء المسلمين من الشباب خاصة ومن الناس عامة.

يعلم حق اليقين أن مرحلة الشباب لها دور هام في بناء الشخصية ، ففي عمره هذا ؛ وقد بلغ ستة عشر ربيعا قرر أن يجعل من ن فسه أفضل نسخة له ، كان يلازم المساجد ، فقد تمكن من حفظ بعض الأجزاء من القرآن وهو في سن صغيرة جدا ، لحسن حظه كان يذهب لمسجد قريب كان به إماما يحبه كثيرا ، حتى أنه جعل **يحيى** يتكلف ببعض المتعلمين فكانوا يأتون إليه فيستحضرون ما حفظوه من

القرآن ، ومع اقتراب عودته إلى قريته كان لزاما عليه أن يغادر المكان وكان حزينا على هذا الأمر كما هو حال الإمام

كان قليل الكلام ، لا يتحدث عبثا ولا ينطق شيئا إلا وقد درسه جيدا ووزنه في عقله ، وإن كان لحديثه معنى مفيد فسيخرجه للناس أما إن كان مجرد زيادة فيلتزم الصمت ، كل صلواته كان يؤديها في المساجد ، كان يحب التغيير ، فمثلا صلاة العصر يصليها في هذا المسجد ، وصلاة المغرب يصليها في مسجد آخر ، يريد أن لا يغيب حذاؤه عن المساجد ، أما بالنسبة لأصدقائه ، فكانوا كلهم سواسية ، أي أنك لن ترى شخصا سيئا حوله ، لا يدري كيف أصبحت الأمور هكذا ، لكنه كان يقينا أن هذا كله بفضل رب العباد ، لكن رغم كل هذا كان يشعر بنقص في مجال ما ، ويقول بأن هذا غير كاف له ، وأنه ينقصه الكثير لمعرفته في جانبه الديني ، فكان حله الوحيد لهذا هو قراءة الكتب ، يعني الكتب الدينية بالأخص ، فهي غنية بالمفاهيم التي يجهلها ، والأمور التي يجب أن يكون على دراية بها ، يعني كان شخصا كل من رآه يحبه ، كأنه مغناطيس ، رغم أن من لا يعرفه سيظن بأنه مجنون قليلا أو كما يسمونه غالبا ؛ غريب الأطوار ، لكن عندما تقترب منه ستعلم يقينا أن بين أضلعه

قلبا رحيما ، وعقلا حليما ، وإيمانا صادقا ، لا يخون ولا يكذب ، لا يغش ولا يسرق ، إن كان صديقك فستفتخر بكونه كذلك ، يعني يراه الآخرون شخصا عظيما ، لا ينقصه شيء ، بينما يرى نفسه كله نقصان..

الآن

بقي هكذا يتفكر ويتذكر أيامه الخالية _ وهو يطرح على نفسه تساؤلات لا يملك أحد أجوبتها سواه _ إلى قرابة منتصف الليل دون أن ينتهي من قراءة ما كان يقرأه.

بعد قرابة الثانية عشر ليلا عاد أبوه من العمل ، الأب الذي يتخذه قدوة له في جميع أموره كبيرها وصغيرها (*قدوة كنفسه التي كان عليها*) .

يعمل في الطب العمل الذي لا يعرف وقتا محددا ، ففي بعض الأحيان يكون نائما بعد العودة من العمل وإذ بهاتفه يرن إنه العمل مجددا ، لا يمكث في نومه إلا سويعات قليلة لكن رغم هذا الإزعاج الظاهر والمستمر إلا أنه لم يشتكي من عمله مرة ولو عن طريق المزاح . فقد كان ذو شخصية حليمة وصَبُورة وكان ذو علم وفطِنة وهذا ما جعل الابن

يتخذه قدوة ويتعلق به ، وكذلك لأن الأب رغم كثرة عمله الذي لا ينتهي إلا أنه لم يتوانى ولو لمرة واحد في ترك الصلاة ، فكان يؤديها في وقتها ويعطي لكل واحدة حقها .

كانت الصلاة هي الأولى بالنسبة له وكانت قرة عينه ، ويعلم يقينا جزاء من لا يصلي يوم لا ينفع مال ولا بنون .

دخل الأب على ابنه في غرفته _لأنه كان يعلم أن ابنه يكون في غرفته في هذا الوقت_ وما إن دخل حتى أقبل إليه الابن مسلما ومحتضنا كترحيب له ، وأثناء احتضان الأب لابنه لاحظ شحوب وجهه ، فعلم وقتها أن ابنه به جلل ما وبه خطب ما ، فأبى أن يخرج من غرفته إلا وهو على دراية بما يجول في خاطر ولده .

بدأ الكلام معه كعادته بسؤاله عن حاله وكيف مر يومه ، وكعادة الابن يجيب جوابا ميكانيكيا ويعيده كل مرة كي يطمئن قلب أبيه ، فأكد له على أنه على أفضل ما يرام ، جواب الابن أكد له انه لا يريد اخباره كي لا يزعجه لذلك اكتفى بالسكوت لأنه يعلم أنه لو قال له بأن به خطب ما لأنكر الابن ذلك ، لأنه يحفظه عن ظهر قلب ، فانتقل إلى خطته البديلة التي يستعملها نادرا لاكتشاف أسرار أبنائه الثلاث .

فكانت كالتالي : يظهر اهتمامه بهم ويسألهم عن ما يقومون به في لحظة حديثهم ثم ينتقل إلى الانغماس في ما يعجب أبناءه حتى يزيل الفجوة والخوف بينه وبينهم ، وبعدها يحاورهم بلين ولطف مما يجعل الأبناء في الاخير يعترفون للأب بما يجول في خاطرهم.

- ماذا تقرأ اليوم يا بني ؟
- كعادتي يا أبتي ، انها رواية "جن بني النعمان"
- ألم تنتهي منها بعد ؟ منذ أيام وأنت تجيبني نفس الجواب كلما سألتك تخبرني بنفس الرواية ، هل هي كبيرة لهذا الحد ؟*

في هذه اللحظة تأكدت ظنون الأب حول ابنه وأنه يخفي شيئا ما جعله يبقى في رواية لهذه المدة الطويلة * .

- فعلا يا أبتي لم أنتهي منها بعد ، وهي ليست كثيرة الصفحات ، الأمر كله هو أنني أصبحت بطيئا في القراءة ليس إلا.
- حسنا يا بني لا بأس ، حدثني عنها قليلا .
- كما تريد يا أبتي استمع .

أنس

¤ أنس ¤

قبل منتصف الليل

في بعض الأحيان تمر علينا أوقات عصيبة جدا ، لدرجة أن قلوبنا لا تستحمل الثقل وهذا الوجع القاتل فيكون الحل الوحيد للتخلص من هذه المكبوتات هو الالتزام بالصمت دون المبالاة للقب المحترق ، وقد كان هذا الحل هو ملاذي الوحيد في ظلمة الليالي .

بينما كنت متكئا قرب فراشي استعدادا للنوم ، إذ بأخي يدخل من باب الغرفة بدون استئذان في حالة يرثى لها ، نظراته تظهِّر خوفا وفزعا ، كان منكمشا في صدمة لن تراها في وجه شخص يرى والديه يموتان أمامه حرقا . أفزعني بدخوله المفاجئ مما جعلني أبدل الوضعية التي كنت عليا ووقفت في غمضة عين ، كان متجمدا في مكانه بلا حراك ، لولا صوت أنفاسه اللاهثة لقلتَ بأنه مجرد صنم ، بعد أن استوعبت ماذا حدث ذهبت إليه أمام الغرفة ، بقيت أترجاه طويلا كي يتحدث ، لكن بكل كلمة أخرجها تزداد أنفاسه ، حتى ظهر عليه جليا أنه في بداية الاختناق .

بعد عدة من المحاولات الفاشلة لتهدئته ، أخيرا هدأت

روحه وانقشعت أمارات الصدمة في وجهه وأمارات الخوف في وجهي ، لكن بعد هنيهة لاحظت أنه لا يتنفس .

_ أخي أرجوك كف عن هذا ، الآن ليس بوقت المزاح ، تعلم جيدا أنني متعب وأنني ....

لم أنتهي من جملتي إلا وأنا أرى جسده يهوي أرضا .

_ أخي ماذا يحدث معك ، بالله عليك أجبني.

في الوهلة الأولى ظننت أنه أغمي عليه بسبب الفزع ، لكن ما إن مر وقت قصير إذ بي أرى لون جسده يتغير .
اقتربت منه أرضا وتحسست نبضات قلبه ، فجأة سقطت دمعة من عيني.

_ إنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد توفاه الله وهو لم يبلغ عقده الرابع ، أي حياة ظالمة هذه

_ استغفر الله ، إنما الصبر عن الصدمة الأولى .

بكيت ليلتها ما لم أبكيه منذ سنين ، انهمرت الدموع كأنها سيل من الأمطار الغزيرة ، لم أنم ليلتها جلست قرب رأسه أمَسِّد شعره الناعم ، لقد كانت فيه رائحة أمي ، لطالما أخبرتني انه يشبهها جدا ؛ في المعاملات والطباع حتى طريقة معاملته للغرباء كانت نفس طريقة أمي ، كان محبوبا

لدى الجيران ، فعادة ما كان الوجه البشوش للمنزل ، لكن منذ رحيل والدتي بسنة وهو على حاله ، لا يأكل إلا لقمة ، ولا يخرج من غرفته ، حتى الطعام كان يؤتى به إلى غرفته كان يبكي على فراقها ليل نهار ، كلما حاولت تهدئته ، يجعلني مثله فأجلس معه ونبكي على والدتي ، كيف لنا أن نحتمل فراقها وهي التي حملتنا وهنا على وهن ، كيف لنا أن ننساها وننسى حزننا على فراقها وهي التي تطعمنا حتى بلغنا أشدنا ، من قال أن فراق الأحبة ليس مرا ، فليعالج قلبه فإنه قاس كالحجارة أو أشد قسوة ، فراق الأحبة شيئا إدًّا لا يفرح لفراقهم إلا من كان لهم ضدا ، أما من أحبهم فهو يقترب إليهم حتى بعد موتهم ودا ، ليكونوا له مدا ومددا ، لأن فراقهم ضعفا ، وغربتهم حزنا ، وعودتهم حلما .

أما أختي ، حبيبة قلبي وقرة عيني ، لماذا أنت أيضا ذهبت بلا وداع ، أما خشيت موتي بلاكِ ، تعلمين أنني بدونك خاويا ككيس رملة عاد من السقف فارغا بعد أن صعد ممتلئا لمن أشتكي الآن همومي أين فتاة أسراري ، فراقك جعلني ضعيفا جعلني هزيلا جعلني طريد أفكاري وأشجاني ، هل إن سمعت كلامي ستعودين ؟ كلا ، فالموتى لهم حياة أفضل من حياتنا .

أما أنت يا أبي ، يا سندي ، يا رفيق دربي ، على من سأتكئ الآن ، على الحائط ؟ حتى هو لم يعد يحتملني على الفراش ؟ حتى هو أصبح كصخرة من قسوته بعد أن كان لينا كحنانك ، يا أبتي ألا تعلم كم اشتقت لوصالك، كم اشتقت لحديثك ؟ كم اشتقت لرائحتك ! كم اشتقت لصمتك وسكونك كم اشتقت لمزاحك ؟ كم اشتقت لجديتك ؟ ألا تعلم كم اشتقت لك ؟

أما أنتِ يا رفيقة الروح ، يا رفيقة النفس ، أتعلمين أنني اعتزلت النساء ؛ منذ فراقك وأنا وحيد ،

وحيد أنا كالخيل في دجى الليالي وحيد .

كالليث في عمق الغابات وحيد .

كالحوت في أعماق المحيط وحيد .

كأنا في جوف الليالي وحيد .

كأنا بين الناس في يوم العيد وحيد .

دامت عزلتي سنين ، وها هي السنين قادمة و سأظل وحيدا ، أتعلمين أنني أحببتك وأحبك ، أحببتك كما لم أحب نفسي قط ، كيف لي أن أنساكِ وأنا الذي كنت أدعو لك في كل ليلة وضحاها أُمْسِي تعيسا بفقدانك وسعيدا بحضورك في منامي ، أنا ذاك الشخص الذي يتمنى رؤيتك في منامه كل مرة أغمض فيها عيناي ويتمني أن تشعري بي في مكانك ، نظرة منك فقط كانت تجعل فؤادي يكره غيابك

تراني أهلوس في أحلامي عند رؤيتك !

أستيقظ مبتسما كأني رأيت بدرا مكتملا ليلتها يدعوني الأقرباء بالأحمق وأنا مجنون بحبك ، وأين لي بعدك أقرباء سواكِ ، يا نجمة أضاءت سمائي في ليلة مظلمة ، وأنارت طريقي في حلكة النهار، كل مرة أدَّعِي نسيانك تقهرني نفسي بتذكرك ، أردت النسيان فابتعدت عنك وعن صورك لأعتني بأخي واندمجت بين الناس وإذ بي أرى وجهك في كل مكان وفي كل وجه ليس لك ؟

ولقد رأيتك في منامي ليلة

فنسيت ما قد كان من أحزاني

وحسبت نومي في حضورك يقظة

حتى أفقت على فراق ثاني

لو كنت أعلم أن الحلم يجمعنا

لأغمضت طول الدهر أجفاني

أما أنت يا أخي يا صديقي ، هل آن دورك لتكمل دورة الأموات ، ألم يكفيك ما رأيتني أعانيه بفقدان الأحباء أراكم قد تآمرتم على جعل حياتي بئس الحياة ، أم أنكم ظننتم بفراقكم سأرتاح ، أين الراحة وقد غدوت حتى بين الحيطان غريب ، لو أني الان وحيد ، لبحثت عن وسيلة تكون حلال لأتبع هديكم ونلتقي تحت ظل العرش على سرر متقابلين ، لكني أقول كما قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : إنا لله وإنا إليه راجعون ولا أقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل .

تذكرت كيف لي أن أحادث ابنتي بموت عمها وقد كان الأقرب لها مني ، لأني أغفو ليلا بعد تعب فلا أراها ، وفي النهار تابعا المهام فلا أعتني بها ، وكانت تلوذ إلى عمها فتراني فيه ، كيف لي أن أخبرها أنها فقدت آخر شخص تحبه آخر شخص كان يعتني بها ، آخر شخص كانت تراني فيه ، آخر شخص تتوقع موته ، لولا غيابها للخارج للدراسة

لكانت أيضا في صدمة أكبر من صدمتي ، أنَّ لها أن تتحمل فراقه وهي قد بلغت السابعة عشر منذ أشهر فقط ، كيف لي أن أنظر إليها ، حقا لا أدري ماذا أقول وكيف أتصرف .

أفقت من غفلتي فاتجهت خارج المنزل تاركا جثة أخي داخل غرفتي فاتصلت مباشرة بسيارة الاسعاف ، مازالت نفسي لم تعترف بموته .

عندما قَدِمت السيارة قال أحد المتكلفين بالإسعافات الأولية :

_ هل تمزح معنا ! لقد مات الرجل منذ وقت ليس بالقليل ، الآن تخبرنا وتجبرنا على الحضور ؟

_ أعتذر حقا ، لكن استدعائي لكم لم يكن لإنقاذه ، بل لاصطحابه للمستشفى لنقوم بالتحاليل اللازمة وربما حتى التشريح .

_ ما قرابتك بالمتوفي ؟

أردت أن أتحدث لكني ابتلعت كلماتي واختار صمتي أن يكون المسيطر .

أغمضتها كي لا تفيض فأمطرت ، أيقنت أني لست أملك مدمعي .

بعدما لاحظوا أنني لم أكف من الأنين والدموع من عيني تسيل منذ حضورهم ، ونظرا لعدم وجود أي أحد في المنزل سوى كلينا تأكدا بأنني أخو الميت ، لأن الاعمار بيننا متقاربة قليلا .

ركبت سيارة الإسعاف قرب أخي ، وكان أيضا قربنا أحد المرافقين ، استدار إلي قائلا :

_ يجب عليك أن تذهب للمخفر أولا ، فما حدث يجب أن يكون رجال الشرطة على دراية به .

أفقت من غفلتي لما سمعت الشرطة ، نسيت أن أخي لم يمت موتة عادية ، بل كان وراؤها سببا ومصدرا جعل منه فريسة سهل للأزمة القلبية ، نظرت إليه أيضا قائلا :

_ من فضلكم هل لكم أن تسرعوا قليلا ، رجاء .

_ حسنا ، كما تشاء سيدي .

لاحظ المرافق أن وجهي قد تغير منذ أن ذكر لي الشرطة ، ففطن أنني أسعى للوصول إلى القاتل ، لذلك أمر السائق بأن يسرع أكثر .

لما وصلنا إلى المستشفى كانت دموعي قد توقفت ، فنظرا لعملي ليس صالحا لي أن أكون ضعيفا أمام الناس ، فأنا

كقدوة لهم ، لذلك كففت دموعي المتبقية بكف يدي اليمنى وتوجهت إلى قسم التشريح .

استقبلني أحد الأطباء قائلا :

_ أهلا سيادة المحقق كيف حالك ؟

_ في غضون عشر دقائق أريد الحصول على نتائج التشريح ، أريد أيضا معرفة إن كان يوجد أي دليل يدل على أن موت أخي ليس عاديا ، أتفهم !!

رد علي الطبيب بتوتر نظرا لملامحي وجدية كلامي :

_ حسنا سيدي لك ذلك .

بعد قرابة العشر دقائق خرج الطبيب وبيده ورقة ، ولما وصل إلي وقد هدأ قليلا ، حدثني قائلا :

_سيدي لقد قمنا بجميع ما في جعبتنا للكشف عن شيء ما ، وها هي النتائج جاهزة سيدي ، لقد توصلنا إلى أن أخاك مات جراء صدمة قاسية تعرض لها ، صدمة كبير ربما طيلة عملي كطبيب لم أر مثلها ، وهي ما أدت إلى انقطاع أنفاسه وموته.

_ تبا لكم جميعا ، ألا أعرف هذه التفاهات التي تطلقونها كالطير في السماء !! أقول لكم أن أخي مات بين يدي وقد

كنت شاهدا على موته وكيف مات ، وبينما أنا أنتظر شيئا جديدا ، أنتم كالحمقى تكررون علي ما علمته ؟ سحقا لكم ولمن جعلكم في منصب كهذا ، حمقى ، كلكم أغبياء .

بقي الأطباء صامتين لوهلة كأن فوق رؤوسهم الطير جراء الإهانة التي تلقوها للتو ، وبعد أن سكنت الأنفس ، طرح الطبيب سؤالا لعله يخفف عني قليلا :

_سيدي ألا تعرف أين كان أخوك قبل الفاجعة ؟

_(بعد سكوت دام قرابة الدقيقتين)، لا أدري ، فقد أخبرني أنه سيزور صديقا له (غيرت من هيأتي بسرعة وتحدثت بكلام يقترب من الهمس) مهلا لماذا نسيت هذا الأمر ، لقد غاب من بالي كليا .

_ لا تظنوا بأن سؤالكم هذا قد شفع لكم من حماقتكم ، تعسا لكم جميعا .

خرجت من المستشفى مستعرا ، فقد زادني الأطباء غضبا فوق غضبي ، وخرجت خارج المستشفى لاستنشاق بعض الأكسجين قبل أن ألحق بأخي ، فقد أحسست ببعض الاختناق.

بعد أن استعدت أنفاسي وهدأت روحي قليلا تذكرت

وجهتي التالية ، وهذا ما جعلني أتوجه إلى شقة صديق أخي **حسن** مباشرة دون أن أدري أي طريق أسلك ، رغم أنني زرته من قبل ، إلا أن ما حدث لي الآن أنساني كل شيء كأني فقدت ذاكرتي تماما . وفي طريقي تهت بين جمع من الأفكار المتضاربة داخل رأسي ، كل فكرة تصارع أختها لعلها تكن المسيطرة ، أحسست بهذا النزال العنيف منتظرا الفائزة ، فجأة وجدت نفسي أمام بناية **حسن** الصديق المقرب لأخي ، لا أدري كيف وصلت إلى هنا ، لكني واقف أمام الشقة ، لم تكن خالية بل كان أمام بابها مجموعة من سيارات الشرطة .

_ مهلا لماذا لم يخبرني أحد بأن لدينا عمل في هذا الوقت ؟ فقد كنت معروفا لدى جميع النيابات وفي جميع أقسام الشرطة ، نظرا لخبرتي في هذا المجال الذي لم ألبث فيه إلا خمسة عشر عاما وها أنا ذا أصبحت من أفضل المحققين في المنطقة فقد كنت أتميز بفِطنتي ودهائي بالإضافة إلى ذكائي الذي يساعدني في حل أي قضية في وقت وجيز ، حيث قمت بحل قضية عجز عن حلها أمهر المحققين ، والأغرب والعجيب في الأمر أنني لم أستغرق في حلها وقتا طويلا.

نظرت طويلا إلى الشرطيين فلاحظت أن الأوجه مختلفة ولم أتعرف عليها ، لذلك افترضت أن النيابة أرسلت قسما آخر غير قسمي .

رحب بي أحد ضباط الشرطة بحبور وبكلمات متقطعة يشوبها الخوف والفزع :

_ مرح ب ا سي دي .

لاحظت أنه يتحدث بتلعثم فسألته السؤال المهم بلا انتظار :

_ ما الذي يحدث هنا ؟

أراد أن يجيب لكنه لم يستطع ، بدا وجهه مسودا وهو سقيم ، كانت نظراته كفيلة بأن تخبرني بما لم يستطع أن ينطق به . لذلك توجت مباشرة للداخل وكلما مررت قرب أحد رجال الشرطة المكلفين بالمراقبة كانت نظراته نفس نظرات الأول وعندما دخلت إلى الطابق الثاني توقفت قائلا :

_ مهلا ! أليس هذا منزل حسن ؟

أتتني الإجابة من شخص تبرز ملابسه بنية رياضية قوية ، فافترضت أنه أيضا من رجال الشرطة .

_ نعم هو كذلك ، أرى أن رئيسك قد استغنى عنك أم ماذا ؟ كان جميع المحققين يبغضونني نظرا لتفوقي عليهم ، والحسد

بدأ جليا على وجوههم، يحسدني القريب والبعيد ، حتى الذين لا أعرفهم . تحدث أحد رجال الشرطة :

_ سيدي المحقق لقد وجدنا أثرا هنا .

_ المحقق : حسنا انتظر لنرى ماذا هناك .

الأن فهمت ، إنه محقق القسم المسؤول عن الجريمة ، لكني لاحظت أن وجهه بدا مرتاحا عكس وجوه الضباط وعندما أخبره الشرطي أنه وجد أثرا تغيرت نظرته تلقائيا كأنه ممتعض مما قاله الشرطي ، انتابني أمرا حول هذا المحقق فحركاته كانت باردة جدا ، وحتى أنه لم يرتدي اللباس الخاص بالمحققين ، وعندما دخلنا وجدنا الأثر الذي تحدث عنه الشرطي ، نظرت إلي المحقق فرآني أنظر إليه نظرات مرتابة فقال :

_ من خلال هذا الدليل الذي هو عبارة عن قميص أصبح سهلا علينا إيجاد المجرم .

قال مجددا "بسهولة" ، هذا ما جعلني أقطع شكي بأنه ليس محقق فالمحققون عادة عندما يجدون شيئا بسيطا كما فعل هذا لا يقولون "بسهولة" أبدا ، بل هنا تبدأ رحلتهم بقولهم : "تبا لقد زاد هذا الامر صعوبة الفهم ، لأن القاتل ليس غبي يفعل فعلة كهذه ، انه فعل الحمقى فقط ." بعد قليل من

الانتظار في غرفة الأثر، اقتربت عمدا من المحقق كي اجعله يرتعد قليلا لكنه بدا متمكنا صلبا كجبل في جوف الارض ، ضربتني رائحة عطره النفاثة ، قلت مع نفسي هذه تكفي ، فجأة قال أحد الشرطيين المصاحبين لنا :

_انظروا هناك شيء تحت السرير ، لم ننتبه له من قبل ،

التفتنا جميعا إلى جهة الشرطي سوى المحقق **" ليوناردو "** هذا ما جعل نفسي ترغب في شتمه وشتم كل من كان سببا في ترقيته ليكون محققا ، لعدم اللامبالاة المصطنعة ، فكيف لشخص وضيع أن يكون محققا وهو لا يهتم بالميت ، هل يحسبهم حيوانات **!!** حتى الحيوانات إن لم نهتم لأمرها فنحن لسن بشر بحق .

اتجهت إلى الشرطي الذي أخرج بدوره تحت السرير قفازات بيضاء بها بقع حمراء حتى كاد لونها يتغير للأحمر الدامي ، أخذها الشرطي ووضعها مع القميص ، سألته مستفهما :

_ أين وقعت الجريمة ؟ أشار الي جهة اليمين:

_ هناك جهة اليمين ، أظن أن الجريمة وقعت في تلك الغرفة ، فلم ندخلها بعد ، لأننا وصلت قبل قليل فقط .

دخلت منفردا إلى الغرفة قبل أن يدخل ليوناردو ، وما إن وصلت الباب وفتحته :

_ مهلا هذه الرائحة شممتها من قبل ، لكن أين ؟

تجاهلت الأمر في الأول ودخلت إلى الغرفة وكانت المفاجأة لقد كانت الغرفة بأكملها مدفونة تحت دماء ما زالت رائحتها كما هي ، وفتات الجسد في كل مكان.

_ الآن قد علمت لما كانت أوجه رجال الشرطة خائفة لتلك الدرجة ، إذا ما سمعوه صحيح ، فما جعل وجوههم خائفة هو سماعهم فقط عن الحادثة فماذا سيقع لو شهدوها ؟؟

دخل باقي الفريق وهو يضع يده في أنفه تجنبا لتلك الرائحة الكريهة ، الدهشة بدت واضحة على وجه الفريق ، أصبحت وجوههم خائفة أكثر مما كانت عليه قبل أن يروا فتات الجثة نظرت إلى أحد الشرطيين الذي بدا ساكنا ولا يتكلم كثيرا ، وقد هدأ قليلا :

_ متى حدثت الجريمة ، أقصد التوقيت بالضبط .

_ لا استطيع الجزم ، المهم تلقينا الخبر قبل منتصف الليل بقليل .

تذكرت بالفعل أن هذا له علاقة بموت أخي ، لأنه أتى إلى

المنزل في نفس الوقت ، بدأت أتجول في الغرفة بحثا عن شيء ما ، لكن لم أجد شيئا ، أردت الجلوس في كرسي كان موجودا في زاوية الغرفة ، لكنه كان مغطا بالدماء ، التفت إلى الشرطي الهادئ وسألته :

_ هل وجدتم أي دليل يوصل إلى القاتل ؟

_ لا سيدي فقد بحثنا جيدا ، وكما ترى الغرفة في الخارج ، لقد انقلبت رأسا على عقب ولم نتوصل إلى أي شيء ، أما هذه الغرفة فلم يدخلها أحدا إلا بعد وصولكم .

رأيت الحيرة والخوف في أوجه الشرطيين ، لكن **ليوناردو** كما هو لم يتأثر بأي شيء ، فقد كان وجهه عاديا كأنه لم ير شيئا مفزعا كهذا ، تحسبه يبحث عن قاتل فأر وليس قاتل بشر، كلما نظرت إلى وجهه زادني غضبا ونفورا .

فجأة خطرت ببالي فكرة ، فكرة ستجعلني أتبين صدق المحقق من كذبه ، فكرة سأعلم من خلالها صحة شكوكي من عدمها.

ناديت على رجال الشرطة وكذا المحقق للاقتراب :

_ يا أصدقاء اقتربوا قليلا ، أريد أن أقول لكم نكتة .

نظر رجال الشرطة إلى أوجه بعضهم البعض مستفهمين ،

وإلى وجهي مستنكرين ، قال أحد الشرطيين :

_ نكتة !!!

_ نعم نكتة جميلة ومضحكة في آن واحد ، أعلم أن هذا ليس الوقت المناسب لكن تعلمون أنني محقق جيد في عمله ، عندما يضع عقله في شيء لا يسأم حتى يجد الحل ونصيحة لي لكم ، رغم وجود أمور تحتاج إلى جدية كبيرة لكن لا تنسوا أن الأمور الصغيرة ضرورية في حياتنا ، من ابتسامة وضحكة وحتى تبسم ، ألم تسمعوا المقولة التي تقول بأن الشيطان يكمن في التفاصيل الصغيرة ، الآن ستعيشون هذه المقولة معي مجانا ، اتخذوها مني هدية لكم كبداية مسيرتكم المهنية ، ما سأتحدث عنه الآن ليس تماما نكتة بل شيء تتعلمونه كي يكن لديكم مستقبلا عظيما جدا، شيء تستعملونه للترفيه عن حياتكم .

استعملت عمدا كثرة الحديث كي لا يشعر أي أحد بما يجول في عقلي وبما أنوي القيام به ، فعندما نركز في شيء نجعل من يراقبنا ينسى ما هو مهم ويتجه إلى التفاصيل التي لا تهمنا فعلا ، تدخل المحقق بعد مدة :

_**ليوناردو** : ماذا تقول أيها المحقق هل أُصِبت بضربة في رأسك قبل أن تدخل هذه الغرفة أم ماذا دهاك ؟

تجاهلت سؤاله ، وأدرت رأسي تجاه الشرطيين :

_ لا عليكم ، اسمعوني فقط ، الأمر ليس بالضبط نكتة ، بل حديثنا عنه الآن هو النكتة أي هو المضحك ، قبل عدة أيام طلب مني رئيسكم الحضور لقسمه من أجل أمر ما ، لما وصلت ، وجدت جمع من الرؤساء ، كل رؤساء المنطقة مجتمعين ، في البداية قلت مع نفسي :

_ أظن أن هناك أمرا إدا ، وهذا ما جعل الرؤساء يجتمعون هكذا ولأول مرة بعد خمس سنوات .

بعد أن رحب بي رئيسكم وقدم لي مشروبا قال :

_ شرفتنا بحضورك أيها القائد الشجاع .

_ شكرا لك سيدي ، هذا لطف منك ، وشرف لي أن اكون بيت خيرة الرجال كأمثالكم .

سألني رئيس آخر:

_ ماذا تظن سيكون سبب تجمعنا هذا ؟

_ لا ادري ، لا أملك أدنى فكرة.

_ لا بأس سيخبرك رئيسك بنفسه .

بعدها تحدث رئيس قسمي ، بعد أن رحب مرة أخرى بي

وبالآخرين قال :

_ سبب تجمعنا اليوم ايها المحقق هو كالتالي : رأيت أنا ورفاقي انكم في السنوات الاخيرة قمتم بأعمال جبارة ، اعمال مشرفة جعلت شهرتنا في البلاد تنتشر بسرعة ، وتكريما لعملكم المشرف أردنا ان نقدم لكم جائزة مادية ، اتمنى أن تنال إعجابكم ، لكن كما ترى نحن لا ندري حقا أي قسم هو المستحق لهذه الجائزة ، وهذا هو سبب تجمعنا هذا ، ورأينا الحل هو الاتفاق ومنحها للمستحق لها بدون ظلم للآخرين ، لكننا لا نعلم كيف لذلك أتينا بك .

_ وأنَّا لي أن أعرف الحل وأنا بين من هم أفضل مني حِلما ودهاء ، انظروا أنتم في أمركم هذا وأنا معكم.

تحدث رئيس قسمكم ، وكعادته بتكبره قال :

_ بالطبع من سيكون أفضل قسم غير قسمي .

رد عليه رئيس قسمي :

_ **داروين** : لقد تحدثنا عن الأمر قلنا أننا سنختار بإنصاف أما زلت لم تتراجع عن قولك ؟

تدخلت أيضا كي أظهِر شجاعتي :

_ كيف ذلك يا سيدي ألم تطلع على الإنجازات التي قمت بها

مؤخرا ؟

_ **داروين** : ما شأني وإنجازاتك تبا لهم .

عندما رأيت اصراره في أمره ، اقترحت عليهم خطة جهنمية كما يقولون لها ، خطة لن يكتشفها أي أحد أبدا :

_ حسنا ، اسمعوني ، لقد وجدت حلا مناسب يرضينا جميعا

تحدث رئيس قسمي قائلا :

_ **ديفيد** : هذا هو ، كنت أعلم أنك أهل لهذا الأمر، ما هو الاقتراح ؟

_ أرى أن تقدموا لأقسامكم قضايا في أقرب وقت ، ومن يحلها بسرعة فهو الفائز ، لكن بصفتي أعرف الأمر سأقدم دوري لمحقق آخر ، لكن بشرط.

_ **ديفيد** : لا بأس تحدث .

_ **داروين** : بدأنا بالشروط قبل أن تنهي الاقتراح أظنه فاشل مهلا لا أظن ، بل هو فعلا فاشل .

ابتلعت هذه الإهانة المشينة لأفكاري نظرا لمكانته وأكملت :

_ الشيء الوحيد الذي أريده منكم هو أن لا تكون الجريمة حقيقية .

_ **داروين** : هل تسمع أذناك ما ينطقه فمك ؟

_ **ديفيد** : كيف ذلك أيها المحقق ؟

بقي الرؤساء الآخرين واجمين بدون حديث ، فقد رأوا أن النقاش بيننا نحن الثلاث بات مشتدا وهو في طريقة للصراع

أجبت رئيسي بوقار :

_ أولا يا سيدي نحن من سيقوم بهذه الجريمة ، سأعطيك مثالا ؛ مثلا سنقوم بذبح شيء ما ونجمع لحمه كأنه بشري باستعمال طرق متطورة ونقوم بوضعه في مكان الجريمة ، وآنذاك نتصل برجال الشرطة كأننا المبلغين عن الجريمة ، وكل رئيس قسم ما سيفعل ذلك .

_**ديفيد** : كل مرة تظهر لي أنك تستحق مكانتك هذه ، حسنا أنا أتفق معك .

_ **داروين** : رغم أنني أرى الخطة فاشلة إلا أنني سأوافق . مازال يرمي لي بعض الإهانات ، وهذا ما جعلني اتخذ قرارا بشأنه ، فتحدثت مع **داروين** :

_ سيدي هل تستطيع أن تكلفني مهمتك وأنا من سيقوم بإنشاء الجريمة لقسمك .

_ **داروين** : ها أنت ذا تتحدث كن هكذا دائما، لقد خلصتني من مهمة مملة صعب التقبل .

قررنا يومها أن نجعل الأمر كحقيقة ، تخيلوا ماذا ترون أمامكم ، إنها ليست أشلاء جسد إنسان ولا دماؤه ، إنما هي لبعض الخنازير أخذناهم كتجربة لاتفاقنا هذا واستعملنا تقنية متطورة لتجعل الأمر يبدو حقيقة لا مجال فيها للخيال أبدا ، بقي رجال الشرطة ينظرون بعدم بفهم ويتهامسون بينهم ، فهذا بقي ينظر إليَّ نظرات استفهامية ، وذاك جلس من شدة الصدمة وهذا ابتلع ريقه بصعوبة وخرجت مقلتاه ، وذاك أخذ بيدي كأنه يطلب مني أن أقسم على حقيقة الأمر ، في تلك اللحظة تحدث **ليوناردو** بشرود ، ربما ظن أنه يُحدِّث نفسه وبأن لا أحد يسمعه غير نفسه :

_ هذا ليس صحيحا ، إنه يكذب ، لقد تحدث معي قبل الكارثة بنفسه ، لقد ترجاني ، عندما أمسكته بيدي كان جلده لينا كباقي البشر ، حتى عند تقطيع أجزائه أحْدث ألما ، بدأ في العويل ثم الصراخ بصوت مزعج ، هذا ما جعلني أنتهي من الامر بسرعة ، فقد أصبحت لا أتحمل سماعه ، لقد سمعت أنينه بأذنيَّ هاته ، نعم لقد جعلت من دمائه حبرا ، لقد كانت ساخنة جدا ، كيف يمكن أن يكون كل هذا خيالا ؟

لقد سمعه الشهود لقد وصلت إلى مرادي ، ما إن سمعه الشهود حتى أعادوا النظر إليَّ باستفهام ، فقد بدت الحيرة في

وجوههم لذلك أشرت لأحد الحراس أن يتجه إلى الباب قبل أن يستيقظ **ليوناردو** من غفلته ويهرب ، أخرجت مسدسي وصوبته في اتجاهه ، تُحدثني نفسي وتُرغِّبني على أن أقتص منه الآن واقتله ، لكني جعلت العدالة نصب عيني فهي ستتكفل به كما يليق به .

استيقظ من غفلته فوجد رجال الشرطة تشير إليه بالأسلحة فعلم آنذاك انه تحدث بصوت مسموع ، وهنا حاولت أن أقول كل ما لم أستطع فعله بالسلاح :

_ تبا لك ، لقد كنت السبب في موت أخي ، منذ أن دخلت إلى هذه الشقة وهناك هواجس تخبرني أنك لست شخصا يؤتمن عليه ، وأنك مجرد حقير وضيع ، لذا فالتَعْلَم ؛ لن أجعلك تصل إلى السجن كما هو متفق عليه كن على يقين وموتك سيكون أسوأ من موت الكلاب ، حتى ولو كان مصيري السجن .

^ربما تقولون كيف علمت أنه كان السبب . استنتجت بعد تجولي في الغرفة بأن بها حمام وبابه منفتح على مصراعيه ونظرا لتواجد أخي مع حسن في ذلك الوقت قلت مع نفسي انه دخل الحمام أثناء ارتكاب الجريمة وسمع كل ما حدث

ورأى كل ما وقع لصديق دربه . وهذا ما جعله يصاب بأزمة قلبية كانت كفيلة بأخذه مني^ .

أعدت نظري للمجرم الحقير ، أردت أن أقوم من مقامي هذا الآن وأتجه إليه فأخنقه بيدي هاتين بدون شفقة أبدا :

_ أي سبب حقير جعلك تفعل فعلتك المشينة هذه ؟

_ لو علمت ما فعل لعفوت عني .

ضحكت رغما عني ضحكة استهزاء ، حقا يظن أنني سأسامحه حتى ولو كان السبب هو انتقاما لوالديه .

بعدما سكنت قليلا خوفا من أن يزداد غضبي واقتله في الحال أخبرته :

_ أتدري ماذا ، تبا لك ولأسبابك التي دفعتك إلى هذا ، أغلق فمك لا اريد سماع نباحك .

أراد أن يتكلم لكني أمرت رجال الشرطة أن يأخذوه من هنا قبل أن أفعل به شيئا أندم عليه لاحقا ، غادرت المكان واتجهت الى مكان فسيح كي أستنشق بعض الهواء .

تذكرت ابنتي فأخذت الهاتف لأتصل بها ، وأنا أفكر كيف سأخبرها وكيف سأتصرف .

يحيى

¤ يحيى ¤

_ حسنا يا أبتي سأقدم لكم تلخيصا موجزا عن الرواية

رواية *"جن بني النعمان"* للكاتب *بدر رمضان* هي سلسلة فانتازيا نفسية تمزج بين عالم الجن والإنس ، وتدور أحداثها حول صراع داخلي وخارجي يجسد في قصة فتاة بشرية يقع في حبها عفريت من سلالة نبيلة تدعى "بني النعمان".

تسلط الرواية الضوء على معاني الحب المستحيل والتضحية وتحدي القوانين التي تحكم العوالم المختلفة مع تطور الأحداث تنكسر الحواجز بين العالمين ، لتنكشف أسرار الماضي ، ويظهر كيف تؤثر القرارات الفردية على المصير الجماعي.

والآن يا أبتي أنا أقرأ الجزء الخامس اقتربت من الانتهاء منه .

_ اتعلم أنك تعيد نفس الكلام منذ مدة ، اقتربت من الانتهاء وأنت ما زلت لم تصل لنصف الكتاب ؟

_ أعدك يا أبي ، سأنتهي منها قريبا ، فهي مشوقة للغاية .

علم الاب ان ابنه ليس بخير ، لذلك حثه على الكلام قائلا:

_ تحدث يا ولدي ، أعلم أنك تخفي شيئا ، فتلك الرواية التي حدثتني عنها لن استغرق فيها أكثر من نصف اسبوع وأنتهى منها ، لا بأس يا ولدي فقط تحدث ، اعتبرني مرآتك ، كأنك تُحدث نفسك .

_ الأمر ليس كما تظن يا أبتي ، إنما لا أريد إثقالك بأحاديثي فقط .

_ سكوتك هذا هو من يحزنني وي ثقلني ، تحدث كفاك دوران

_ حسنا يا أبتي كما تشاء .

قبل شهر .

كان **يحيى** كعادته يزور أصدقاءه في كل وقت وحين ، وذات مرة وهو جالس ينصحهم قائلا :

_ تعلمون جيدا يا أصدقائي أن الذهاب إلى المساجد فيه أجر كبير جدا ، فكل خطوة تمشيها للمسجد إلا ورفعت لك به درجة ، وعندما تكون جالسا في المسجد منتظرا الإقامة تستغفر لك الملائكة ، تخيلوا معي ، الملائكة تستغفر لي ، هذا العبد الضعيف تستغفر له مخلوقات نورانية فهي ليست كبعض البشر الذين يدعون لك طمعا في مالك ، وهم حقيقة في داخلهم يدعون عليك لا لك .

تدخل أحد الاصدقاء موقفا **يحيى** قبل أن ينهي كلامه :

_ اِستغفر الله يا **يحيى** ، أتعي ما تقول ! ، أنسيت أنك قلت لنا من قبل أنه لا يجب علينا أن ندخل في نوايا العباد ، هل نسيت الحديث الذي ذكر أن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان مع الصحابة رضوان الله عليهم فأثنى الصحابة على جنازة خيرا فقال النبي ﷺ : *وجبت!*

وأثنوا على جنازة شرا، فقال النبي ﷺ : *وجبت!*

فقالوا : وما وجبت يا رسول الله؟

قال: الأول أثنيتم عليه خيرا فَوجبت له الجنة، والثاني أثنيتم عليه شرا فوَجبت له النار ، أنتم شهدا ء الله في الأرض!** .

أتعلم ما معنى هذا يا **يحيى** أنه نحن علينا فقط الحكم على الناس بما يظهرون أما ما في قلوبهم فهو عند عالم الغيب والشهادة : إن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، هذا كان حديثك كله ، ما بك هل نسيت ؟

_ أعتذر منكم ، **تالله** إن الغضب يعمي العقل والقلب ، غفر **الله** لي ما قدمت وما أخرت وما أعلنت وما أسررت.

رد عليه الجميع :

_ آمين .

قام **يحيى** من موضعه دون أن يكمل الحديث فقد أحس أنه انجرف مرة أخرى إلى الطريق الآخر ، فكيف سمحت له

نفسه أن يقول ما نهى أصدقاءه عن قوله ، كيف يفعل ما لا يرضى من أصدقائه فعله ؟

وبعد هذه الحادثة اعتزل أصدقاءه ، ومكث في المنزل يدعو الله أن يغفر له زلته فكلما حاول اتباع طريق الحق توسوس له نفسه فينحدر إلى الهاوية هذا ما جعل نفسيته تنهار كليا .

الآن

_ هذا ما في الأمر يا أبتي ، هذا ما جعلني أمكث في هذه الرواية كل هذه المدة . كلما حاولت التمسك واتباع الطريق المستقيم أجد نفسي تجرني للطريق المعاكس ، طالما علمت أن الشيطان لعنة الله عليه موجود في الطريق المستقيم كحاجز للعباد ليضلهم ، لأنه يعلم أن وجوده في طريق الجحيم لا فائدة منه ، لماذا سيوسوس لشخص هو أصلا يتبع طريق الضلال والباطل ، فالشيطان من جهة والنفس من جهة أخرى ، فكلنا نعلم أن بداية عصيان إبليس لرب العالمين كان سببها النفس فهي أكثر خُبثا من الشيطان ، قد كان للشيطان مكانة بين الملائكة ، كان له اسم ومنزلة لكن النفس تجبرت فتكبر وعصى ربه فخرج من رحمة رب العباد ، فأصبح من الأسفلين بعدما كان من الملائكة ، أنظر أين أوصله التكبر ، هل نستوعب أننا الآن نتبع من قال لرب العباد : أأسجد لمن خلقت طينا ، تكبر واتبعناه نحن !!!

عار علينا إذ اتبعنا من سيقول لنا يوم القيامة :

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن

دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

إبراهيم (22)

ها هو ذا يعترف ونحن نعي هذا ، لكن رغم معرفتنا يدعونا فنستجيب له !!! أي عقل هذا أي تفكير هذا الذي نملكه نحن أليس عيب ، أليس من فعل هذا يحتاج لعقاب يذكره بمن هو بلى ورب العباد إنه ليستحق ، لكن الرحمن الرحيم يتوب على كل تائب ويغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، يكفي أن يتوب قبل أن تلقاه الموت ، فمن مات قبل التوبة فهو في خطر كبير ، وما يجعلني أتعجب أكثر هو نظرا لكل الأفعال التي يفعلها إبليس إلا أنه يوم القيامة سيبحث عن رحمة الله ، سيقف على أصابع رجليه كي تدركه رحمه الله ، بكل أفعاله القبيحة والحقيرة يبحث عن رحمة ، عن مغفرة !!! ألا يدعو هذا للعجب ؟ ألا يجعلك هذا تمقت نفسك لأنك اتبعته !!!!

_ هذا يا أبتي ما جعلني أبتئس ، أعلم كل هذه الأمور وما زلت افعل بعضها .

_ يا بني لا تحمل نفسك ما لا طاقة لك به ، فما دمت تتوب إلى ربك فقلبك مازال حيا ، ولو كان كل العباد لا يخطئون

لذهب الله بهم وأتى بقوم يعصونه ثم يستغفرون ، هذا ليس تشجيع على المعصية ، كلا ثم ألف لا ، إنما يريد أن يبين لنا أنه سبحانه وتعالى يحب التوابين ، وكلما عصيت عد إلى الله ولو أذنبت ألف مرة . هل نسيت ذاك الحوار الذي دار بين حنظلة والحبيب المصطفى ﷺ ؟ لا أظن أنك نسيت ، إنما حزنك أنساك إياه ، لأذكِّرَك :

رأى أبو بكر حنظلة بن الربيع ضجرا ، فقال له : ما بك يا حنظلة ؟

فقال: نافق حنظلة !

فقال له أبو بكر : سبحان الله ، ما تقول ؟

فقال : نكون عند النبي ﷺ، يذكرنا الجنة والنار كأننا نراها، فإذا خرجنا من عنده عاسفنا الأزواج والأولاد فنسينا كثيرا!

فقال له أبو بكر : والله إنا نلقى مثل هذا فذهبا إلى النبي ﷺ

فحدثاه بشأن قلبيهما فقال : والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي ، لصافحتكم الملائكة في الطرقات ، لكن يا حنظلة ساعة وساعة .

ساعة وساعة ، بمعنى أن العبادة لا تبقى على وتيرة واحدة

فهناك وظائف ، وأسواق ، وتجارة ، وبيوت وكلها يتطلب التوازن ، ولا يعني أن تكون ساعة لربك وساعة لشيطانك ، ساعة في المسجد وساعة في الملاهي الليلية !

ساعة وساعة أن لا تكون في عبادة ، ولكنك في المباح لا في الحرام !

هنا يا ولدي يبين لنا الحبيب أن النفس ليس لها حالة واحدة ، هي متقلبة ، نرجو من الله أن يثبتنا على الحق .

_ آمين يا أبتي ، سأحاول اعتزال كل ما يكرهه ربنا جل في علاه ، وإن شاء الله أرى هذا ليس ببعيد .

_ بإذن الله تعالى يا ولدي ، وفقك الله لما يحبه ويرضاه ، الآن يا بني فلتخرج بين الفينة والأخرى إلى أصحابك فهم سيكونون قد اشتاقوا لمحادثك ، لا تحرمهم منك .

_ حسنا أبتي إن شاء الله أفعل .

خرج الأب **يوسف** من الغرفة بعد أن تأكد بأن ابنه بخير وفي المقابل عاد **يحيى** إلى الخلف مستلقيا فوق السرير يتفكر في أقوال أبيه التي كانت بمثابة حبل نجاة له ، فقد اتضحت له الرؤية الآن أفضل من ذي قبل ، وعلم أن ما يمر به الآن ليس إلا طريق سلكه السابقون من قبل .

نیلی

كانت متكئة على فراشها وبيدها رواية تقرأها استعدادا للنوم ، فهذه هي عادتها دائما ، كانت تقرأ رواية **"من وراء حجاب "** بدأت فيها بالأمس واقتربت من الانتهاء منها ، بعد مرور ربع ساعة وضعت الرواية جانبا واستلقت لتنام لكن الذكريات أعادتها إلى الوراء قليلا ، تذكرت عمها كيف كان لها سندا في غياب أبوها ، تذكرت ذات مرة وهي تتجول وحيدة في إحدى الحدائق فأتاها شخص غريب :

_ مرحبا !

_ مرحبا ، هل تحتاج مساعدة ؟

_ لدي أخت مريضة وهي الآن مستلقية على أحد الكراسي ، هل تستطيعين مساعدتي لنضعها في السيارة ، سآخذها مباشرة للمستشفى .

_ حسنا انتظر قليلا .

أرادت أن تذهب معه لكنها تذكرت حديث عمها : ""*كل من أتاك يطلب المساعدة تأكدي من الأمر أولا هل طلبه يتوافق مع قدرتك ! هل هذا الطلب منطقي ! هل كنت في مكان لا يمكن لأحد آخر أن يساعده سواك !! فكري هكذا ، فاليوم هناك البعض يستغل طيبة الآخر كي يكسب نفسه ، فهذا يخدع ذاك وتلك تتربص لتلك ، لا أقول لك بأنه لا*

وجود لفعل الخير ، بلى هو موجود في كل وقت وحين لكن بأصوله ، ربما يأتيك أحدهم يطلب منك أن تقدمي له مساعدة كي يتصل بأهله لكن نيته تكون سرقة هاتفك ، هنا أين الخير أين العمل الجميل ؟ المشكل يكمن في صاحب الهاتف ، لأنه لم يكن عليه أن يثق بالغرباء كل تلك الثقة ، فالمحتاجون حقا نادرا ما نراهم ، فهم يقولون مع أنفسهم ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، منهم من يُفضل الموت على أن يخرج ليتسول ومنهم من تحسبهم أغنياء من التعفف ، يروا أن ليس من الكرامة أن تطلب العباد ولك رب العباد لتطلبه ، من أراد أن يجد حاجته فليستيقظ في الثلث الأخير من الليل فيدعو ربه ، لأن رب العباد ينزل في الثلث الأخير من الليل فيقول ؛ هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له ؛ *يا ابنة أخي ، لا أحفظ الحديث جيدا ، لكن هذا هو معناه ، فمن عَلِم هذا ولم يفعله إنه إذا لمن الضالين .*

عادت إلى واقعها كي تفعل ما أمرها بها عمها ، فلاحظت أن الحديقة كانت مكتظة بالبشر ، ثانيا أن طلبه بدا لها ليس منطقيا كثيرا ، فكيف له أن يطلب المساعدة من فتاة ضعيفة البنية ، بينما يوجد هذا العدد الهائل من النساء والرجال ، ثالثا لاحظت أن المكان الذي أشار إليه لم تكن به أية سيارة ولا أي شيء ، لذلك حاولت أن تخفي خوفها وأخبرته :

_ مهلا انتظرني قليلا ، سأذهب إلى دورة المياه ثم أعود .

_ لكني مسرع وأخاف أن كل ثانية نضيعها ليست إلا وقت قريب إلى ضياع أختي .

_ اعذرني لا يمكنني مساعدتك وأنا في هذه الحالة .

_ (*وهو يقترب للامساك بها*) ارجوك إنها قريبة ستعودين بسرعة .

_ (*لاحظت اقترابه منها فأسرعت بالهروب*) ساعدوني! ساعدوني !

عندما أدرك السارق أن الفتاة لاحظت الأمر فر هاربا كي ينجو بنفسه من أداء الناس له .

شكرت **ليلى** عمها فلولا نصائحه لكان مصيرها الآن

المجهول الذي يُعتبر الجحيم للمختفين .

وبينما هي تتذكر أيامها السابقة إذ بهاتفها يرن ؛ إنه اتصال من والدها ، أخذت الهاتف بشوق :

_ ألو أبي كيف حالك ، هل أنت بخير ؟

_ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حبيبتي الصغيرة ، كيف أصبحت ؟ أرى أن عادات الغرب قد غزتك.

_ (*وهي تضحك*) أي عادة يا أبي ؟

_ ""ألو "" من أين تعلمت هذه الكلمة ، السلام أولى .

_ بدأنا في الدروس من جديد ، أعدك أنني سأعتزلها في أقرب وقت ، ربما عندما أكون قربك ، أخبرني يا أبي كيف حال عمي ، منذ مدة وهو لم يتواصل معي.

_ (*وقد بدأت عيناه تدمعان*) لله ما أخذ وله ما أعطى ، لقد التحق بالرفيق الأعلى .

ما إن سمعت الخبر حتى وقع الهاتف من يدها من شدة الصدمة ، بعد مرور أكثر من خمس دقائق قالت وهي ترتجف وتبكي بعد أن أخذت الهاتف :

_ أبي أرجوك قل أنك تمزح أرجوك .

_ هل تستطيعين الحضور في أقرب وقت فقد أصبحت وحيدا في البيت ، ليس لي بعد الله إلا أنت صغيرتي .

_ (*بنحيب*)حسنا أبي غدا صباحا سأكون هناك .

_ ان شاء الله صغيرتي إن شاء الله .

قطعت الاتصال بصعوبة ، وعادت للخلف بتعب ، أرادت أن تكذب أباها ، لكن هذا الوقت أكد لها أنه كان يقول الحقيقة .

بقيت تلك الليلة بدون نوم ، فالبكاء كان المتحكم ليلتها ،

في الصباح جهزت حقيبتها بعيون شبه مغلقة ، واتجهت مباشرة إلى المطار ، لحسن الحظ لم تنتظر كثيرا ، فما إن وصلت حتى أعلنوا أن الطائرة ستقلع وقتها .

نزلت في المطار بعد مدة طويلة من السفر وبقيت مستيقظة ، حتى ظهرت هالة سوداء تحت عينيها من شدة الإرهاق ، اتجهت إلى المقهى كي تشرب شيئا ما يخفف عنها قليلا ، ولما دخلت المقهى وجدت صديقتها القريبة تنتظرها ، استقبلتها بحبور ، فقد مر الكثير من الوقت وهما لم يتقابلا ، كانت **ياسمين** صديقتها منذ الإعدادي ، تعرفت عليها أثناء الدراسة ، فأصبحت صديقتها رغم الاختلاف الظاهر بينهما إلا أن الحب ألَّف بين قلبيهما فأصبحت علاقتهما وطيدة جدا ، وهذا ما جعل **أنس** يتصل ب **ياسمين** كي تذهب لاستقبال **ليلى** أثناء نزولها من الطائرة ، لأنه كان يعلم أن حالتها ستسوء جدا ، أرادت صديقتها أن تؤنسها قليلا فتحدثت في كثير من الأمور ، لكنها لم تلاحظ أن **ليلى** لم تكن تستمع لها فقد كانت شاردة الدهن ، متفكرة في حديث موت عمها ، علمت **ياسمين** أن صديقتها ليست في حالة جيدة فآثرت السكوت ، فلم ترغب أن تتحدث أكثر لأنها تعلم أن لا جدوي من الحديث ما دام العقل غائبا ، رغم محاولاتها كي تؤنسها لكنها باءت بالفشل ، وفي الأصل هي من كانت

تحتاج لشخص يؤنسها ، فكم هو صعب أن يكون لك أب مجرم ، أب لا تستطيع النظر إلى وجهه بفعل جرائمه ، فقد أخبرها **أنس** أنه قد أمسك به في ذلك اليوم ، أرادت البكاء ، لكنها خجلت ، فكيف لها أن تبكي وتحزن على مجرم جبار ! لكن نفس أخرى تخبرها أن ذاك أبوها رغم كل ما أفعاله سيبقى قطعة من قلبها ، وأن ما قام به ليس إلا لحمايتها فقط بل لكي تصبح لها حياة أجمل ، أخرجت من عقلها هذه الأفكار اللئيمة ، فهي تحب الموت على أن تأكل من المال الحرام ، وتعلم جيدا أن ذاك المال لن يأتي إلا بالسخط والذنوب ، وأن العبد مسؤول عنه يوم القيامة وسيُسأل من أي أتى به وفي ما أنفقه ، أليس عيبا أن يكون جوابهم أنهما أتيا به من الحرام وأكلا به طعامهما ، إن هذا لهو الخزي العظيم ، تالله لإن الموت لأهون عليها من أن تقبل بمال حرام في منزل تكون به .

وبعد نصف ساعة من قدومها أخبرتها أنه آن وقت المغادرة لذلك تجهزتا وقامتا من مقعدهما ، توجهتا إلى الخارج وما إن وطئت قدمهما الخارج حتى سمعتا صوت مسدس .....

یحیی

¤ يحيى ¤

وفي صبح وقفت أمام مرآتي وقد بانت على وجهي خساراتي ، أرى شخصا ، شخصا على المرآة يكرهني وما أقسى كره الذات للذاتِّ ، واسترجعتْ بعضا من الأيام ذاكرتي لتأخذني إلى أقسى محطاتي إلى ماض قديم في مدينتنا إلى وقت به اختلفت قناعاتي فما فارقت قرب الناس من عبث ولا أقوى على ملء الفراغات ، لكن جرحا ، جرحا من الأحباب أقنعني إن القريبين أولى بالخسارات ، وما يعنى خروج الروح إن خرجت ، فهذا الموت لا يعنى النهايات ، فكم عندي من الأحياء أعرفهم ولكني أعاملهم كأموات بسبب إهمالهم لي في صعاب أوقاتي ، وما يهتمون بي ولا بذكرياتي معهم حتى بفقداني كأنه عيدا لهم .

ما إن أنهيت حكاياتي حتى خرجت من المنزل متجها إلى الأصدقاء ، بل إلى الأحباب ، أوقفت سيارة الأجرة كانت مارة أمام المنزل ، عادة كنت أحب المشي لكني اشتقت لرؤيتهم ولا أستطيع الانتظار أكثر ، وصلت إلى منزل صديقي **لوط** فهو كان الأقرب لي من بين الأصدقاء ، أكملنا طريقنا مشيا إلى الساحة التي نجتمع فيها وجدت **أحمد يونس**

وصالح و **معاذ** في الساحة ينتظرون قدومنا ، استقبلوني بحفاوة نظرا لطول الغياب ، فبدأ **معاذ** الحديث قائلا :

_ أهلا بشيخنا ، أين طال الغياب ، عساك تكن في أفضل الأحوال !

_ أحمد الله تعالى على نعمه الظاهر والباطنة ، أنا على أفضل حال الآن ، الغياب كان لأمر يخص نفسيتي كي تتعاف قليلا وأعود إلى حالتي .

رد علي صالحا محدثا:

_ ما النتيجة إذا ؟

أجبته ممازحا :

_ سبعة مقابل صفر.

تدخل **يونس** وهو ما زال يضحك :

_ لقد عادت نفسيته يا سادة ، وهذا بدا جليا عليه .

_ أحمد : ما درس اليوم إمامنا ؟

اعتاد الأصدقاء أن ينادوني إماما نظرا لحكمة أحاديثي لكني كنت أوبخهم مخبرا ومحذرا على عدم مناداتي بالإمام ، فأين أنا وأين الإمام ، بالفعل كان حلمي أن أتفقه في الدين ، وما زلت أواصل لتحقيق حلمي ، حتى أنني في بعض الأحيان

أُصلي بهم في المساجد وأقدم خطبا ، لكني ما زلت لم أصل شيئا في الفقه ، لهذا أخبرتهم أن لا ينادوني به حتى أكن فعلا شخصا يستحق أن ينادوه بذلك .

_ لوط : أو دعونا نحن نختار الموضوع الذي سيتحدث فيه

أجابوا بكلمة واحدة مجتمعين :

_ حسنا .

رددت عليهم متحفظا :

_ يا أصدقاء لست ملما بجميع المواضيع وأنَّ لي أن أتحدث عن شيء وأنا لا أفقه فيه شيئا ولا أعرف فيه شيئا ؟!

_ **لوط** (*وهو ينظر الى أصدقائه سواي*) : انظروا إليه إنه كثير التواضع .

ابتسم الآخرون بمكر ، قاطع **أحمد** تبسمهم مخبرا :

_ ما رأيك أن تتحدث اليوم يا **يحيى** عن النقاب أو الحجاب تدخل **صالح** ممازحا :

_ مبروك أخي **أحمد** متى تنوي أن ترتديه ، لا تنسى أن تخبرنا بالتوقيت كي نحضر لنبارك لك .

ساد صمت قليل في الجلسة ليقطعه تتابع ضحكاتي التي حاولت جاهدا كتمها لكني لم أستطع ، وبدأ الآخرون

يضحكون ملء أذنيهم ، حتى أن **أحمد** لم يستطع تمالك نفسه فشاركهم الضحك .

بعد مرور وقت من الزمان دخلت في الموضع مباشرة ؛

_ حسنا ، هذا موضوع يحتاج إلى الكثير من الوقت وإلى آذان مستمعة ومنصتة .

الجميع بصوت واحد :

_ كلنا آذان صاغية ومنصتة.

_ اذا ، أولا : بسم الله الرحمن الرحيم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ، فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ، شيء لا يختلف فيه أحد هو أن الحجاب فريضة من رب العباد على النساء متى بلغت سن الرشد بدليل من القرآن ، قال تعالى وهو أصدق القائلين : (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ

التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

النور (31)

وهنا يُظهر رب العباد من هو قريب منها ممن هو أجنبي ، أليست هذه غيرة على نساء المؤمنين ؟ لماذا لا نغار نحن لماذا ؟ لذلك كان لزاما عليها ارتداءه ، بغض النظر عن ما حولها ولا يجب عليها أن تتبع وتكثرت إلى ما تراه عينيها في التلفاز مما تفعله بعض الكاسيات العاريات ، فما إن بلغت رشدها يجب على الآباء أولا وآخرا أن يحدثوهن عن ضرورة ارتدائه ، لأنه في حديث للرسول صلى الله عليه وسلم قال : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، وفي الذكر الحكيم قال ربنا عز وجل ، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: " وقفوهم إنهم مسؤولون " **سورة الصافات** ، الآية : 24

هذا يدل على أن الأبوين هما المسؤولين من الدرجة الأولى على تربية الأبناء ، أما في حالة أن الأبناء أيتاما سواء بفقدانهم للأب أو للأم أو كليهما ، فإن المسؤولية تقع على

عاتق الأخ الأكبر ، لكن هذا لا ينفي أن الأخ الأصغر ليس له يد في الدعوة إلى الخير، اذا أصدقائي ، أنتم لكم إخوة صغار أو كبار إذا وجب عليكم أن تكونوا لهم سندا وعونا في كل شيء .

الآن لندخل للموضوع بتفصيل ، ألم تلاحظوا من قبل ما كتب في القرآن عن العورة أو التنبيه إليه ، فكلما رأيتم كاسية عارية في الشارع ادعوا لها بالمغفرة فإنها بذلك عاصية مذنبة ، والدليل على هذا أن أبونا آدم وأمنا حواء عندما أكلا من الشجرة بدت لهما سوءاتهما ، وأول شيء حدث بعد أن عصيا رب العباد هو أنه سقط عنهما لباسهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، يعني هذا أن ما نراه اليوم من كثرة سقوط اللباس سواء كان موضة أو غيرها فاعلموا أنه عبارة عن عقاب لهما ، كما حدث مع أبوينا من قبل ، لكن الفرق الوحيد بين نساء اليوم وأمنا حواء هو أن أمنا ما حدث لها لم يكن في الحسبان أي أنها لم تفعل المعصية عمدا ، فقد وسوس إليهما الشيطان وقاسمهما أنه لهما لمن الناصحين ، أما نساء اليوم فهن يلبسن ما يلبسن وهن على علم بأن في لباسهن هذا ذنب وإثم مبين ، وتعلم علم اليقين أن النقاب حق وواجب عليها ، لكنها تتغاضى عن الأمر وتستهين به ، وتتخذ الاجنبيات قدوة لها ، تتجاهل

وتتغافل عن ما كانت به نساء المسلمين في عهد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا تعلم أن هذا سيكون حجة عليها يوم القيامة والعجيب في الأمر أنهن يتعاملن مع الأمر كأنه أمرا من بشر وليس من الذي خلقها فسواها .

رسالة إليك أختي ، انظري لديك حق أن لا ترتدي الحجاب إن لم تكوني فردا ممن سأذكر الآن :

يا أيها النبي قل لِّأَزواجكَ وبناتكِّ ونسِّاءِّ المْؤمنينَ يدنينَ عليهن من جلَابيبهِّن ذلك أدنى أن يعرْفنَ فلَا يؤذينَّ وكانَ الله غفورا رحِّيما(الأحزاب) 59

إن كنت لا ترين نفسك من اللائي وجب عليهن الحجاب فأنت حرة كما تقولين ، أما إن كنت منهن فما يضرك أن تفعلي !! .

ألا ترون أصدقائي أن الحجاب لم يأتي إلَّا لحمايتها ! يحميها من نظرات الذئاب ومن تربص الأوغاد ، من همسة ريح ، ومن سوء يسيء إليها والدليل هو : أخرجوا هواتفكم من جيوبكم وانظروا إليها ، لماذا جميعكم استعملتم ذاك الغلاف لها رغم أن جمالها بدون الشيء الذي يخبئها أجمل ! سأجيبكم ، لأنكم خائفين من أن تسقط من أيديكم وتنكسر ، تخافون عليها من أي خدش ومن أي تلوث ، أليس كذلك ؟

_**لوط** : صدقت القول أخي ، إن قولك لقول حق .

_ صالح : فعلا صديقي ، ما فعلنا هذا إلا لحمايتها .

أجبتهم بتحفيز:

_ إذا كونوا الصوت لإخوتكم وأخبروهن أن الحجاب لم يأتي إلا لحمايتها من تربص الشياطين من الإنس ، ومن الاذى ، علموهن هذا الكلام ، وأرجو من الله التوفيق .

قالوا بصوت واحد :

_ آمين .

_ **معاذ** : نشكرك جزيلا الشكر على كلامك أخي ، فما سمعنا منك إلا الحقيقة .

_ **يونس:** صدق **معاذ** إنك إمام حقا يا **يحيى** بارك الله فيك وزادك علما من عنده .

رددت عليه ممتنا :

_ آمين يا رب العالمين .

انتهت جلستنا ذاك اليوم واتجه كل واحد منا مغادرا إلى بيته ، بقي **معاذ** ينتظر قيامي فرافقته إلى منزله ، وفي طريقنا تحدثنا قليلا ، وأخبرني عن بعض أموره لعلي أجد لها حلا ، فوعدته أن أبحث وافعل ما باستطاعتي كي أجد

ذلك الحل ، وبدأت مباشرة بالبحث عن حل لأخي ، بعد أن وجدت شيئا في الهاتف استبشرت خيرا ، أكملت طريقي وبعد أن اقتربت من أحد المقاهي طلبا القليل من الراحة رأيت أختي فاتجهت إليها .

ليوناردو

بداية الضلال

¤ ليوناردو ¤

كان **ليوناردو** رجلا شهما فرغم الصعوبات التي كانت تواجهه في الحياة إلا أنه ظل قويا ، فزوجته ماتت مخلفة وراءها طفلة صغيرة ذات الأربع سنوات ، تربَّت في كنف الأب ، وهذا ما جعلها تتعلق به بشدة وتحبه بجنون ، حتى أنها أصبحت تجبره على أخذها معه أينما ذهب ، لكنه كان فقيرا جدا ، فعندما انتهت مدة إقامته في المنزل طرده صاحبه ، وأصبح يبيت في الشوارع ، بقي على حاله هذا حتى وجد عملا يساعده في البقاء في منزل ليتدبر أمره .

بعد مرور سنوات تحسنت أحواله ، ليس فعلا لكن لم يعد ينام مع ابنته في الشوارع ، فالآن أصبح له بيته الخاص ، والتحقت ابنته بمدرسة للتعلم ، كانت مجدة جدا ، وأثناء العطل كانت تعكف في المنزل ملازمة القرآن وتحفظه ، كان المرافق الوحيد لها ، وهذا ما جعلها تحفظه عن ظهر قلب في أقل من ثلاث سنوات ، كانت حياتهما سعيدة جدا ، حتى أتى ذلك اليوم المشؤوم .

اليوم المشؤوم

خرج الاب للعمل كعادته ، وفي طريقه للعمل أوقفه رجل وعرض عليه مبلغا من المال مقابل سرقة متجر صغير ، في بادئ الأمر رفض الاب بإصرار، لكن ما إن رأى الرجل يضاعف المال أضعافا حتى سمع صوت من الداخل يحثه على قبول الطلب ، وبعد هنيهة من التردد والندم على تفكيره قبل **ليوناردو** الطلب ، فثم الأمر بنجاح وأخذ الأب المال وعاد به إلى المنزل فخبأه في مكان كي لا تراه ابنته ، فهو يعلم أنها لن ترضى أن تأكل من المال الحرام ، ولو كان الثمن حياتها .

مر ذلك اليوم على **ليوناردو** بصعوبة لكونه أول مرة يقوم بعمل شنيع ، فأصبحت نفسه اللوامة تلومه على فعله ، حتى أنه لم ينم ليلتها إلا ساعة واحدة ، فقد رأى كوابيس نغصت عليه نومه ، استيقظ باكرا متجها للعمل كعادته ، فرأى نفس الرجل ينتظره في الشارع ، وهذا ما جعله يغير طريقه ، ولما وصل نصف الطريق وجده أمامه ، تجاهله وأكمل طريقه ، لكن الرجل أوقفه ، وكانت خدمة اليوم هي سرقة سيارة ، تعجب الأب من جرأة الرجل فحاول الابتعاد عنه ،

لكنه أبى أن يفارقه ، وأخرج له مالا أكثر مما أعطاه سلفا ، وهذا ما جعله ينفذ المهمة بامتعاض .

بقي الحال هكذا فكل مرة يخرج الأب قاصدا العمل إلا والرجل ينتظره فيقدم له مهمة ما مقابل أموال هائلة ، وذات يوم اعترضه مرة أخرى فطلب منه مهمة لم يكن يتوقعها أبدا ، فكانت له صدمة الحياة ، حتى اقتربت عيناه من الخروج من مقلتيها ، طلب منه أن يقتل رجلا ، هذا ما جعله يتساءل :

_ هل تسمع اذناك ما ينطقه فمك !!! أتريد مني قتل نفسا ؟؟

_ إنه أمر سهل ، لا تخف سأوفر لك كل ما تحتاجه كي لا تقع في يد الشرطة .

_ أظنك تمزح ، ربما لم تنم اليوم جيدا .

_ أعلم جيدا ما أقول ، يجب عليك الإسراع فالرجل سيسافر ظهرا.

_ انظروا إليه مازال يعيد كلامه ، اذهب من هنا قبل أن أنادي الشرطة ، هيا اذهب .

_ ليس لدينا وقت لتفاهتك هذه ، لا تظن أن هذا العمل أقل بشاعة مما فعلته من قبل .

_ أتظنني مجرما !!!

_ لا أظن ، بل أنت فعلا كذلك .

_ تبا لك ، ابتعد عني .

_ لا مفر لك ، إما ان تفعلها أو تعيد لي كل ما أعطيته لك من قبل.

_ هيا بنا لتأخذ مالك ، فقط دعني وشأني .

ما إن رأى الرجل أن **ليوناردو** قد عزم أمره على عدم فعل هذه الخدمة وأنه مستعد لإعادة جميع الأموال حتى أوقفه قائلا بحزم :

_ لم تدع لي خيار آخر ، إما أن تقوم بما أمرتك به أو ودع ابنتك ، فوقتها ستزورها فقط في القبر وتتمنى لو عادت بك الايام لتفعل .

_ ربما تمزح معي أليس كذلك .

_ هل ترى وجهي وجه شخص يمزح !

وقعت تلك الكلمات على **ليوناردو** كصاعقة ، لاحظ في وجهه الجدية وأنه فعلا سيفعلها ، فمن تجرأ على السرقة فخطوته الثانية هي القتل ، عادت به ذاكرته إلى أول لقاء له مع الرجل الغريب فتمنى لو أن الأرض انشقت وابتلعته

عوض أن يُلبي طلب هذا المتهور . بقي لحظة يفكر في خطوته التالية لكن جميع الأفكار اتفقت على شيء واحد كي تنجو ابنته :

_ حسنا ، لكن عِدني انك لن تمس ابنتي بسوء .

_ أنت من سيقرر ذلك .

بعد ما اتفق الاثنان على موعد الجريمة غادر الغريب مخلفا وراءه **ليوناردو** تائها بين أفكاره ، فنفسه اللوامة من جهة ونفسه الأمارة بالسوء من جهة ثانية ، لم يذهب ذلك اليوم إلى عمله وعاد إلى المنزل بعدما انهى الحديث مع الغريب ، استقبلته ابنته مبكرا ، فكانت علاقتهما وطيدة جدا ، نظرا لأنها كبرت في كنفه بدون حنان الأم ، هذا ما جعلها تتعلق به جدا وتتخذه صندوق أسرارها كما يفعل هو .

تعجبت من عودته السريعة فسألته مستنكرة :

_ أبتي لماذا عدت في هذا التوقيت ، ولم تمكث أكثر من ساعة في الخارج ؟

نظرا لتشوش الأب لم ينتبه لابنته ولا لسؤالها هذا ما جعلها تناديه ثانية :

_ أبتي ، ماذا حدث لك ؟

_ اعتذر ابنتي لم أسمع ما أقوالك ، فقد كنت تائها ومشوش الدهن قليلا .

_ هذا واضح يا ابتي ، أخبرني ما بك ؟

_ لا أستطيع يا صغيرتي لا أستطيع .

_ منذ متى يا أبي وأنت تخفي عني شيئا ، تحدث ها أنا ذا منصتة .

_ لا أقدر على البوح هذه المرة اعذريني .

قررت الابنة أن تستغل نقطة ضعه.

_ إن لم تخبرني يا أبي فلن ترى وجهي اليوم ، وربما مرة أخرى .

_ إن أخبرتك ستكرهينني يا صغيرتي .

_ انا من سيقرر هذا يا أبي .

نظرا للعلاقة بينهما القريبة لم تعد الابنة تعرف الاحترام أثناء غضبها ، حتى أنها تعامله كصديقها وليس كأب .

_ حسنا اسمعيني جيدا ، عندما أخرج في الصباح لا أذهب إلى العمل الذي كنت أعمل فيه من قبل ، الآن وجدت عملا يقدم لي مال أكثر بجهد أقل بكثير .

(بدأ الأب بسرد ما حدث معه)

ما إن انتهى الأب من حديثه كيف انه ابتلى بذلك الرجل وبالأعمال الشنيعة حتى صاحت الابنة :

_ ماذا !! طيلة هذه المدة كنا نأكل من المال الحرام .

_ ماذا علي فعله ابنتي تعلمين اننا فقراء أزيد من عشرين سنة .

_ هذا لا يحل لك أن تسرق يا أبي .

انتهت من النقاش وقامت من المجلس متجهة إلى الغرفة ناوية أن تصلي ركعات تستغفر فيها ربها لكن الأب ناداها :

_ بقي شيء آخر ، لقد أمرني اليوم بأن أقتل نفسا .

ما إن سمعت الابنة ذلك الكلام حتى تجمدت في مكانها ، لا تستطيع حتى أن تلتفت له من شدة الصدمة ، بعد مدة طويلة خرجت جملة واحدة من فمها :

_هل قبلتَ !!!

_ ليس لدي حل آخر لقد هددني بقتلك ، لن أسمح له ولو كانت النتيجة قتل جميع الناس ، ذهبت والدتك لن اسمح بذهابك أنت أيضا .

_ اعلم يا أبتي أنك إن فعلت إنسَ بأن لديك ابنة اسمها

ياسمين هل تفهم .

لم يجبها الأب فهو قد عزم على أمره.

و ها قد أتت اللحظة المنشودة ، ناداه الرجل ليلتقيا في مكان ، وأعطاه كل ما يخصه لتنفيذ الأمر ، ظن **ليوناردو** أن الأمر سيكون سهلا ، حيث أن الضحية كانت في مكان منعزل تماما عن الناس ، فكان في عطلة أسبوعية ، ذهب إلى شاطئ بعيد عن الأصوات .

دخل **ليوناردو** بخفة إلى المنزل وما إن رأى الرجل ينام في أريكة قرب النافذة حتى أخرج السكين مصوبا إياه إلى بطن الرجل ، لكن قبل أن يصل إلى البطن ، حدث ما لم يكن في الحسبان ، استيقظ الرجل وأمسك يد **ليوناردو** ، خاف هذا الأخير وفر هاربا ، لكن الرجل أمسكه قبل أن يصل إلى الباب الخارجي ، لم يكن يدري أن الغريب أمره بقتل مجرم ، استسلم للأمر مسبقا لأنه يعلم خطورة المجرمين ، أخرج الرجل مسدسا ووجهه إلى **ليوناردو** وقبل أن يقتله ضربه **ليوناردو** بقبضة يده ما جعل المجرم يترنح أرضا ، واستغل الفرصة وهجم عليه بضربات متتالية بالسكين بعد أن حمله ، وأكمل المهمة بنجاح .

عاد إلى المنزل وعقله يفكر كيف وماذا سيقول لصغيرته

الجميلة ، فكر في جميع الأمور لكنه لم يجد شيئا سوى الحقيقة المرة .

خرجت **ياسمين** إلى أبيها بذعر ، كانت قبل دخوله قد جمعت حقيبتها مستعدة لهجر المنزل إن قام الأب بفعلته ، سألته متوجسة :

_ هل فعلتها ؟

لم يرد عليها الأب ، فقام متوجها إلى غرفته مخلفا وراءه **ياسمين** جاحظة العينين ، قالت مع نفسها أن السكوت يدل على أنه قد فعلها ، استغلت هذه الفرصة وأخذت حقيبتها وخرجت من المنزل بلا رجعة ، لم تعد تعلم إلى أين ستذهب بعد الآن ، تذكرت صديقتها لكنها لم تعد بعد من الخارج ، لذلك اختارت أن تذهب لصديقة أخرى قريبة .

لما نزل الأب وناداها ولم يجد مجيب تأكد أنها غادرت المنزل ولم ترض أن تعيش مع وحش مثله ، شتم نفسه وسبه كيف له من البداية أن يقبل طلب الغريب ، في اليوم التالي خرج **ليوناردو** فوجد نفس الرجل ، أراد أن يصارعه وقتله كما فعل مع الأول لكن هذا الأخير هدده مرة أخرى ب **ياسمين** ، والعجيب في الأمر أن الرجل طلب مرة أخرى من **ليوناردو** أن يقتل شخص آخر، ولما توالت التهديدات

قبل الأب الطلب عن مضض .

بقي الحال هكذا الرجل يطلب و **ليوناردو** ينفذ حتى اعتاد **ليوناردو** على الدم وأصبح لديه كالماء ، فقد كان يجني منه أموالا طائلة ، وكان يقتل النفس كأنه يقتل حيوانا أو حشرة ، مات ضميره وأصبح قلبه قاس كالحجارة أو أشد قسوة ، حتى أنه أصبح يتفنن في قتلهم بعد أن مل من التكرار ، في البداية يعذبهم أشد العذاب ، فهذا يقطع أصابعه وهذا يقطع يديه ، وذاك يقطع أذنيه وهذا يفقس عينيه ، وكان ينهي الأمر بحرق شعر رؤوسهم وقطع أرجلهم ، وأخيرا بتمزيق الجسد حتى يفصل اللحم عن العظام ، لما زاد الأمر كثيرا خاف **ليوناردو** أن يُكشف أمره ، فقرر فعل شيء لن تتمكن الشرطة من اكتشافه ، أصبح محققا وأدخل المال ليتمكن من أن يكون لديه عددا كبيرا من الجواسيس في جميع الأقسام ، بعد مدة اتاه أمرا بقتل رجل يسكن في بناية ، فقد قيل أنه يُعَلم الناس أمور دينهم ويعلمهم الكتابة والقراءة ، وله مكانة بين الجيران والمدينة ككل ، كان دائما متعلقا بالقرآن ، ما إن سمع **ليوناردو** القرآن حتى تذكر ابنته فعاد ضميره يؤنبه لوهلة ، لكنه أمر نفسه الأمارة بالسوء أن تتخلص من هذا الضمير وهذا ما قامت به بالفعل ، لذلك ذهب مباشرة إلى بيت **حسن** وفعل فعلته تلك .

يحيى

¤ يحيى¤

عندما رأيت أختي في الشارع ، كانت تقصد مكانا ما ربما إلى حصتها ، اتجهت إليها سائلا :

_ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أختي ، ماذا تفعلين هنا ؟

_ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أخي ، كنت متجهة إلى المسجد ، فاليوم لدينا حصة كما تعلم ، ماذا عنك ؟

_ كنت عائدا من جلسة مع الأصدقاء ، و الآن أنا متعب وسأتجه إلى أحد المقاهي كي أرتاح قليلا .

_ لماذا لا تذهب مباشرة إلى المنزل أخي !

_ لا يا أُخَية ، لقد سئمت المكوث في المنزل كثيرا ، فبعد ما حدث لي لم أعد أتحمل الجلوس بدون فعل أي شيء ، سأذهب الآن إلى ذاك المقهى لعلي أفعل شيئا ينفعني ، ربما أقرأ شيئا أو أجلس فقط أتأمل ، لذلك لا داعي للعودة إلى المنزل ، سأجلس هنا بعض الوقت ثم أعود .

_ حسنا أخي ، إلى اللقاء .

_ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعد أن افترقنا بقيت واقفا أُتابع ممشى أختي حتى دخلت المسجد مع بعض الفتيات ، آنذاك اتجهت مباشرة إلى المقهى كي أستريح فيه قليلا بعد ذاك الحديث الطويل ، دخلت إلى المقهى وأخذت مقعدا ، ناديت على أحد المسؤولين ليأتي لي بكأس ماء ، واثناء ذهابه اتبعته بنظري ؛ فهي عادة لدي ، لطالما أحببت أن انتبه إلى الآخرين حتى يصلوا إلى مرادهم ثم أعود إلى نفسي ، عندما اختفى الرجل من أمام ناظري ، جُلت بنظري في المقهى فلاحظت فتاة في طاولة أقصى المقهى تجلس بشرود وعيناها مسودتان تحتهما هالة سوداء وكانت أمامها فتاة حسنة المظهر ، يظهر عليها الوقار تتحدث إلى الفتاة باهتمام ، يظهر علي هذه الفتاة أيضا وجوما ، أحسب أن لديها مشاكل داخلية لا يعرفها أحد سواها فعادة ما يكون الشخص الذي يشعر بالألم كثير الحديث ، ويبحث دائما أن يواسي الآخرين عوض نفسه ، فيتجاهل مشاكله ويبحث عن طرق كي يحل مشاكل الآخرين ، وهذا تماما ما كنت أقوم به عندما أواجه مشاكلي الداخلية أعدت النظر إلى الفتاة الأخرى ، فلاحظت أنها لم تستطع إخفاء آلامها كما فعلت صديقتها علمت أنها تمر أيضا بأوقات صعبة وهذا ما أوصلها إلى حالتها هذه ، في حالتي العادية لم أكن فضوليا هكذا ، ولم أكن أحب النظر إلى الآخرين ،

لكن عندما يتعلق الأمر بصحتهم آنذاك أكون مجبرا على فعل ما لا أفعله عادة ، العجيب في الأمر هو أن الشخص المحتاج فعلا للمساعدة هو أنا ، لأني ما زلت أعاني من آلامي لكني أبحث عن أشخاص لأساعدهم !! إن هذا حقا لهو الجنون ، هذه حالتي ولا أستطيع التخلص منها مهما فعلت ، بعد مرور مدة لاحظت أن الفتاة قد خرجت مع صديقتها من المقهى ، حدثتني نفسي كعادتها ، واقترحت علي أن أذهب لأسألها هل تحتاج إلى المساعدة ، لكني عقلي الخارجي رفض الأمر مسبقا .

بعد مرور وقت قصير من ابتعادهما عن ناظري ، سمعت صوت سلاح أتى من خارج المقهى فاتجهت مباشرة للخارج بحثا عن شيء ، أو هذا ما قالته لي نفسي ، والأصح أنني كنت أريد التأكد من أن شيئا لم يُصِب الفتاة ، خاصة التي كانت تُخبئ آلامها ، فهي من كانت تحتاج إلى المساعدة أكثر من صديقتها ، فمذ رأيتها لم تغب عن عقلي ، لا أدري هل بسبب هوسي لمساعدة المحتاجين أم هو شيء آخر ، لم أفكر في الأمر كثيرا ، فقد ظننت أن السبب هو التوقع الأول أي أنني لن أبتعد إلا عندما أُتم مهمتي التي هي مساعدة الآخرين قبل أن يأتي الأجل الذي كنت أخشى وصوله قبل أن أفعل شيئا ينجيني من عذاب أليم .

ياسمين

¤ ياسمين ¤

ما إن خرجنا من المقهى حتى سمعنا صوت سلاح ، لنعود مباشرة إلى الداخل مختبئتين تحت إحدى الطاولات ، انتابتنا نوبة من الخوف والهلع لا ندري ماذا سنفعل ، وفي هذه اللحظة المليئة بالخوف والرهبة أتانا فتى عشريني ، يظهر على هيئته الوقار والاحترام ، تقدمَنا ووقف أمامنا وهو يواري لنا ظهره ، وجلس جلوس المستعد للمفاجأة ، وبدأ بالكلام مخاطبا إيانا :

_ هل أنتما بخير ؟

بصوت واحد أجبناه :

_ نعم .

تحرك ببطء إلى الجهة المقابلة ونحن خلفه ، أخبرنا أنه سيأخذنا إلى مطبخ المقهى حتى تستكين الأمور، أدخلنا إلى الداخل مع بعض الموجودين في المقهى وبقي مستعدا لأي هجوم أمام الباب ، تراه تحسبه جنديا عسكريا ، يستعد ليبطش بعدوه من الضربة الأولى .

مسكت يد **ليلى** وابتعدنا قليلا إلى الداخل ، نظرت إليها نظرات متسائلة عن حالها وأجابت بمثلها ، ساد المكان

سكون مرعب يزعزع أركان القلوب والأبدان ، كل واحد في زاوية متكور حول نفسه ، لا يدري إن كانت له حياة بعد هذا ، فكل واحد منا أنشأ نهاية لهذا اليوم ، فمنهم من قال بأنه هجوم إرهابي ، ومنهم من قال بأنهم قطاع الطرق هم من تجرأوا بالدخول إلى المدينة بعدما ضاقت بهم الطرقات ، لكل النتيجة واحدة ، إبادة جماعية ، أغلب الموجودين في المقهى كانوا شبابا مثلنا ، وهذا ما أرعبهم أكثر ، فمثلهم يحلم بعيش حياة طويلة مع من أحب ، لكن الحياة تأتي بأحداث تضرب بالأحلام عرض الحائط ، نظرتْ إلي **ليلى** قائلة :

_ هل حقا سيحدث ما نسمعه **!**

_ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

_ من أين لكِّ بهذا الإيمان ؟ ألا تسمعين ما أسمعه **!!**

_ بلى ، لكن الفرق الوحيد بيننا انني لا أخاف الموت ، وأنت تخشينه والله أحق أن نخشاه .

سكتتْ كعادتها ، فهي دائما تفعل هذا عندما تكون أمام الحقيقة ، وتعلم أن كلامها لن يكون إلا حجة عليها ، لذلك تلتزم الصمت ، والسبب في هذا هي الفترة التي قضتها في الخارج ، حتى أصبحت لديها بعض عادات الغرب .

رغم التناقض الموجود بيني وبين **ليلى** إلا أن الصداقة كانت أقوى ، فدائما ينتهي حديثنا بابتسامة رضى مني أو منها ، كانت دائما تكون صدا لأفكاري المقترحة عليها ، من قبيل ؛ تغطية الرأس ، الذهاب إلى المسجد للدراسة أو أي شيء يشابه هذا ، فهي تقول بأن الدراسة الخارجية أثمر من تلك .

بعد فترة من الزمن ، غابت الاصوات خارج المقهى ، وحضر مكانه صمت مخيف ، آنذاك أتانا الفتى وأخبرنا جميعا أن نلتزم المكان مع الصمت ريثما يلقي نظرة للخارج ليرى ماذا يحدث ، وبدون قصد مني وفي لحظة غفلة قلت له :

_ انتبه على نفسك .

نظر إلى نظرة استنكار، فهو لا يعرفني ولا أعرفه ، أحسبه يقول ، ما شأني به إن حدث له شيء ، أجابني بإماءة رأس وخرج .

وما إن خرج حتى سمعت ضحكة من خلفي أتت من **ليلى** قائلة وهي ما زالت تبتسم .

_ أيتها المؤمنة ، أظن أن القلب خرج عن سيطرتك .

_ بالله عليك ماذا تقولين ، إنما هي فطرة ، خفت عليه كما أخاف على أخوتي المسلمين أجمع .

_ آهاه ، لقد فهمت .

ثم اتبعتها بغمزة بإحدى عينيها مع ابتسامة .

فجأة عادت إلى حالتها فبدت حزينة و شاحبة الوجه ، تذكرت عمها الذي التحق بالرفيق الأعلى ، وبدت الحسرة على وجهها ، كيف لها أن تبتسم وتضحك وهي على علم بأنه قد مات ، ربما مازالت في صدمتها ولم تتقبل بعد فكرة موته المخيفة تلك ، حاولت مواساتها قائلة :

_ **ليلى** كفاك حزنا ، قدر الله وما شاء فعل ، بكاؤنا لن يعيده لنا ، وحزننا عليه لن يزيدنا إلا غما ، اصبري فلعله خيرا له ومن منا لا يفخر بأن يلتقي بالشهداء والصالحين ؟

_**ليلى** : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله .

التفت إليها لأتأكد هل هي بخير ، فلم أعهد منها أن تتحدث هكذا ، أي أن تتلو آيات من الذكر الحكيم ، فسألتها :

_ هل أنت على ما يرام ؟؟

_ليلى : كيف أبدو!!

_ لم أكن أظن أنني كنت سأشهد أياما أسمعك فيها تتلوين القرآن ، لكن من الآن فصاعدا إن خرجنا من هنا سالمتين لن ابتعد عنك خطوة ، سترافقينني إلى حصصي وإلى أي

مكان أذهب إليه ، أعدك بأن أساعدك وأكون رفيقتك حتى تحفظين القرآن عن ظهر قلب .

نظرا لما تعيشه الآن من فقدان وآلام لم تستطع الحديث أكثر لذلك اكتفت بإماءة من رأسها كقبول لما اقترحته عليها

اقتربت منها أكثر فاحتضنتها ومسدت شعرها وأنا أحدث نفسي بهمس :

_ ستكونين بخير ، مع الأيام ستصبحين أقوى مما عليه أنت الآن ، وإلى أن يحين ذلك الوقت سأكون دائما قربك وأمامك في كل لحظة ، و يؤسفني القول أنني سأبقى في منزلكم لفترة لا أعرف متى تنتهي ، فقد أصبحت كمشردة ولا أعرف أين أذهب ، بقيت لمدة عند رفيقتي وأختي **فردوس** وقد أكثرت البقاء و الآن حان دورك يا **ليلى** كي تحتويني .

ردت علي بخفوت :

_ إني فاعلة أختاه ، إني فاعلة.

_ أشكرك جزيل الشكر أختي ، إذا اعطيني يدك كي أمسك بها .

_ تفضلي ، هل لك أن تعانقيني حتى ينتهي هذا الحلم المخيف !

_ بكل سرور أختي اقتربي قليلا .

ما إن عانقت **ياسمين** صديقتها حتى بدأت تواسيها وتنصحها :

_ **ياسمين** : لدي طلب منك أختي ، استري نفسك فإني أخاف عليك من عذاب عظيم ، إن سألتك هل تؤمنين بالله ورسله لقلت نعم ، وهذا يدل على أنك تؤمنين بشيء وتنكرين شيء آخر ، الله هو من أمرنا أن نؤمن به وهو من أمرنا بالحجاب ، فلماذا تؤمنين ببعض الكتاب وتكفرين ببعض ، تعلمين الآية التي قال فيها الله عز وجل : *أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .*

وبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوت الفتى يصرخ بحرقة وهو يصرخ باسم : **ياسين ... ياسين**

خفنا من الخروج وأبينا الجلوس ، مرت علينا لحظات صعبة بين التفكير والخوف ، بعد مدة ليست بالطويلة قررت الخروج مهما حدث ، فكما كان لنا مساندا في محنتنا يجب علينا أن نكون كذلك ، أخبرت **ليلى** بعزمي فوافقت بدون تردد ، خرجنا من وكرنا واتجهنا إليه مباشرة .

آل یاسین

☆☆

في قرية نائية بعيدة عن ضجيج السيارات ، ورائحة النفايات ، في صباح أحد الأيام تستعد عائلة **آل ياسين** على مغادرة القرية ، فقد لبثت فيها ما يزيد على ثلاثة عقود ، فهي مسقط رأس الأب **يوسف** و زوجته **حفصة** ، كانت مكانة هذه العائلة بين أهالي القرية معروفة ، وكانوا الأقرب لهم من غيرهم ، فكانت نعِّم العائلة الصادقة الوفية .

استعد أهل القرية لتوديع عائلتهم والدموع تغرغر في العيون فهذا يعانق ذاك ، وهذه تقبل تلك .

أما الأبناء فكانوا يودعون أصدقاءهم بحبور وسعادة ، فقد كان الأبناء يدرسون في مدينة بعيدة عن القرية ويعودون أثناء العطل ، لكن مع اقتراب الأبناء من الجامعة قررت الأسرة أن تذهب وترحل من القرية كي تسهل تعليم أبنائها .

تتكون العائلة من خمسة أفراد ، الأب في السابعة والثلاثين من عمره ، والأم في الرابع والثلاثين من عمرها. ثم **يحيى** وهو الابن الأكبر ثم يليه **ياسين** وأخيرا الأخت الصغرى **فردوس** .

كان **يحيى** فتى مقدام ، أي أنه شجاع وداهية ، نعِّم الابن البار بأبويه هو ، **يحيى** شخص يسير بهدوء وثبات وكأن

خطاه تعرف وجهتها دون تردد ، يكره الكذب ، ليس لأنه يخاف منه ، بل لأن قلبه لا يعرف إلا الصدق ، لطيف بطريقة لا تشبه التصنع ، كأن اللِّين قد ولد معه ، وكأن الرحمة تعرف اسمه ، وطريقها إليه .

يحمل هم الآخرين دون أن يظهر ثقله ، و يلوم نفسه إن رأى ظل تقصير تجاه الآخرين ، ويعتذر حتى إن لم يخطئ لا حبا في الملامة ، بل حرصا على القلوب ، كما أنه كثير الشكر وهذه من ألطف صفاته ، وهو مسؤول عن أفعاله ، شهم في تصرفاته ، وهادئ في حضوره ، لكن يظل الحديث معه ممتعا للغاية ، كما أن الجميع يميلون إليه وإلى هدوئه ، قليل الكلام وكثير الصمت ، عندما تراه تظن أنه لا يتحدث ، وعندما يتحدث كأن عالما أو حكيما يتحدث داخله ، كلامه كله دين ، وكله نصح ، ليس له نصيب من الصداقة ، فهو كثير الوحدة ، فعندما سمع أن الصاحب ساحب إما إلى الجنة أو إلى النار قرر أو يعتزل من هم طريق إلى النار ، فأتخذ القرآن صاحبه وشفيعا ليشفع له يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

كان النسخة الأصل من أبيه ، فكان يشبهه في كثيرا من صفاته ، حتى أن أهل القرية كانوا يلقبونه ب شبيه أباه .

أما **ياسين** فهو ليس ك **يحيى** ولا يشبهه في أي شيء لا شكلا ولا أوصافا ، فبعدما انتقلت العائلة إلى المدينة بسنة ضل عن الطريق الذي كانت تسير فيه عائلته أجمع ، فقد غره الشيطان فاتبع هواه وأضله عن السبيل ، فعندما يكون في المنزل يصلي دائما خوفا من أبيه ، ليس لأن الأب سيضربه كلا ، إنما يخشى أن يفقد ثقة أبيه ولا تكون مكانته كما هي دائما ، وتحسبه تقيا نقيا طاهرا ، لكن بين أضلعه شيطان مارد ، كان يتخذ صاحبات ويلهو في الأزقة ، وكان حريصا على أن يتخذ أصحابا لا يعرفون عنه شيئا ، لا يعرفون أباه ولا أي فرد من العائلة ، خوفا من يصل الأمر إلى أبيه فينكشف غطاء أفعاله وتعلم عائلته السر الذي يخفيه عنهم ، أو بالأحرى الإثم الذي يزاوله ليل نهار.

نادرا ما تراه في المساجد ، فكان يذهب إليها مضطرا كي يشهد له المصلون أمام أبيه أنه يصلي في المساجد ، والصفة التي كان يكرهها فيه **يحيى** هي أنه لا يضع يده في أي عمل داخل المنزل ، فلا يساعد أمه ولا يساند أباه ، فكانت **فردوس** هي التي تقوم بأعمال المنزل تارة وأمها تارة أخرى بينما **يحيى** يساعد أباه في بعض أشغاله .

لا يدخل إلى المنزل إلا بعد قرابة الثانية عشر ليلا ، كان

يسهر الليالي وينام في ضوء النهار ، يعاتبه أبوه على عاداته هذه لكنه يستجيب يوما ويتخلف أياما.

أما بالنسبة **لفردوس** فكانت غاية في الجمال كأمها ، تتشابه مع **يحيى** في كثير من الصفات ، وكان **يحيى** أقرب لها من **ياسين** لأنها لا ترى هذا الأخير إلا قليلا ، كأنه لا يعيش معهم في نفس المنزل ، وكانت تتخذ **يحيى** رفيقا لها قبل أن يكون أخا ، فكانت تخبره بكل صغيرة وكبيرة ، فهو صندوق أسرارها ، يفهمها أكثر من نفسها ، وهذا ما يفعله دائما مع الآخرين ، لها وجه شبه دائري ، عينان قاتمتا السواد كشعرها الطويل الحريري ، عندما تنظر إلى عينيها كأنك تنظر إلى بحر لجي عميق ، تجعلك لا تفهم ما وراءهما ، لها بشرة بيضاء اللون ، أخذت من أخيها أغلب صفاته ، فكانت رقيقة القلب لينة المعاملة ، وخفيفة على القلب ، لا يعرف الكره طريقا إلى فؤادها ، تتميز بفطنتها ورزانة ورجاحة عقلها، دهاء يحسدها عليه القريب والبعيد ، أكملت قبل أيام السابعة عشر ، كانت أصغر من **يحيى** بثلاث سنوات ومن **ياسين** بسنتين ، ومازالت في شق طريقها نحو الحلم ؛ ***حفظ الذكر الحكيم*** ، فمنذ صغرها وهي متعلقة بالقرآن ، حتى أنها بكثرة سماعها للأحاديث تارة من **يحيى**

وتارة أخرى من أبيها ارتدت الحجاب في سن مبكر، حتى أنها رغبت في النقاب وأن تغطي وجهها لكن نظرا لدراستها التي لم تنتهي بعد ، قررت أن تؤجل هذا الأمر قليلا ، لذلك وعدت نفسها أن موعدها مع النقاب سيكون بعد الثانوية .

لم يكن لها رفيقات كثر، فنظرا لكونها فتاة ملتزمة ينظر إليها بعض الفتيات كأنها معقدة ولا تفهم شيئا من الموضة ، وأن زمن الصحابيات قد ولى ، لذلك لم ترض أي واحدة أن تتخذها صاحبة ، سوى ثلاث فتيات ؛ **أحلام** ، **ياسمين** **وسندس** ، تعرفت عليهن منذ سنة مضت ، رغم قصر مدة معاشرتها لهن إلا أن علاقتهن كانت وطيدة جدا ، لا تزعزعها المشاكل ، ولا تضطرب بفعل الهموم ، تآلفت قلوبهن بفعل امتلاكهن هدفا وحيدا يسعين للوصول إليه : **حفظ الذكر الحكيم** ، كانت **احلام** ذات قامة قصيرة لها وجه طويل يتميز بتقاسيمه الوضاءة ، تميل إلى السمرة أكثر من البياض ، فهي أمازيغية الأصل ، من أب أمازيغي وأم عربية ، في نفس سن **فردوس** تماما ؛ فتاة ذات السبعة عشر ربيعا .

كان لها أخ وحيد وثلاثة أخوات ، **صالح** وهو الأكبر منهن ، ثم **أحلام** فتليها **آية** ، **مريم** ، ثم **سلمى** ، **صالح** كان في

ريعان شبابه ، فكان ذو العشرين خريفا ، أما **آية** و **سلمى** و **مريم** فهن متقاربات في العمر ، بينهن فقط بضعة أشهر ، فهن في السادسة عشر .

أما **سندس** على عكس **أحلام** ؛ لها قامة طويلة ، ووجه دائري ، تشبه قليلا **فردوس** ، وكانت الأكبر بين صديقتيها فهي ابنة الثامنة عشر، وهي حكيمة بطبعها ، وهذا ما جعل **فردوس** تميل إليها ، فهي بمثابة الأخت التي لم تلدها أمها ، فكانت لها نعمِّ الرفيقة والصاحبة .

كان **لسندس** أخ وحيد ، **لوط** ، الابن البار بوالديه ، والأخ الكريم الحنون ، فكان مصدر أمان وطمأنينة **لسندس** ، فهو يكبرها ب ثلاثمائة وخمسة وستين يوما فقط ، وهذا ما جعل حبهما لبعضها يزيد ، فهو يفهمها جيدا كما تفهمه هي .

ياسمين كانت الأكثر رزانة بينهن ، فنظرا لظروف حياتها فقد تعلمت الكثير من الأشياء في صغرها ، كان لها وجه نوراني كالبدر ليلة اكتماله ، كالشمس في يوم مشرق ، كان وجهها جميل جدا ، ليس طويلا ولا دائريا ، إنما هو شكل جميل زادها فوق الجمال جمالا ، هي الوحيدة التي تمكنت من حفظ القرآن قبل صديقاتها ، لها عينان عسليتان عندما ينعكس منها ضوء الشمس تصبحان مختلفتا الشكل والناظر

إليهما لن يمل من المكوث في المشاهدة ولو كان الثمن طول حياته ، لها شعر كستاني ، تخبئه خلف حجابها ، قامتها ليست طويلة جدا ولا قصيرة ، هي كتومة جدا ، لا تتحدث إلا عندما تعلم أن لحديثها معنى ، حديثها كله حكمة ووقار ، لا يعرفن عن ماضيها شيئا ، فهي لا تتحدث كثيرا وكثيرة الشرود والصمت ، حتى أنك بحضرتها ستظن أنها بكماء .

ما يعرفنه عنها أنها وحيدة ؛ ليس لها اخت أو أخت ، وأمها توفيت وهي صغيرة ، أما بالنسبة لأبيها فلم تكن تذكره لهن أبدا ، وكلما حاولت إحداهن أن تجبرها على الحديث عنه تغادرهن وهي حزينة ، وهذا ما جعل صديقاتها يكفن عن الحديث عنه خوفا على إحزانها .

قررت **فردوس** لوحدها أن تجرب حظها ، فبينما هي وحيدة اتصلت ب **ياسمين** كي تلتقي بها ، وبالفعل وافقت **ياسمين** وأتت إلى منزل **آل ياسين** أثناء خروج الرجال جميعا ، بادرت **فردوس** بالحديث بحذر:

_ **ياسمين** أعرف أنك حساسة في هذا الموضوع ، لكن عقلي لا يكف عن التفكير صباحا ومساء ، أعلم بأن ثمة أمر عظيم بينك وبين أبيك ، وأنا على يقين بأن حديثك عن

هذا الأمر سيخفف عنك قليلا بعض الأحزان .

_ أختي ، أعلم ما تريدين الوصول إليه ، لكن صدقيني هذا الحدث ليس من الأمور التي نتحدث عنها فتزول أحزانها ، تخيلي هذا الأمر كالتالي :

لو مات أحد أفراد عائلتك ، وأنتِّ كنت في مسرح الجريمة ، يعني أنت شاهدت موته بعين شاهدة لحظة بلحظة ، فبقيت هذه الذكرى تؤلمك نهارك وليلك ، مرت الأيام وأتى شخص يقول لك هل تريدين الحديث عن ذاك اليوم بدعوى أن الحديث عنه سيخفف آلامك ، أي أنه يقول لك هل تريدين أن تتحدثي عن ذلك اليوم وتخبرينا كيف مات ، بالله عليك هل هكذا سيخف ألمك ؟؟ بالطبع لا ، إنما تذكر الأمر فقط يزيد الإحراق ألق ، وأتمنى أن تتفهمي موقفي .

_ وصلت الفكرة أختي جيدا ، أعتذر جدا عن اصرار ي في معرفة هذا الموضوع ، لو كنت أعلم أنه مؤلم إلى هذا الحد لما تحدثت عنه من الأصل .

_ رغم ذلك أختي سأحدثك عنه ، لكن كتلخيص فقط ، فلا أتحمل ولا أستحمل التذكر ولا التذكير ؛ المهم سألخص الأمر وأقول لك بأن أبي كان قاتلا ، أو بالأحرى أبي قاتل حقير ، لأنه ما زال يواصل هوايته .

أصابتها الدهشة مما سمعته ، الشيء الوحيد الذي لم تكن تتوقع حدوثه ، شيء لا يخطر على عقل بشر نظرا للفرق بين الأب والابنة ، كيف لفتاة تحفظ القرآن وتعي السنة أن يكون أباها مجرما ، كيف لفتاة بريئة أن يكون أباها وحشا ، أتاها سيل من الأسئلة المنجرفة بلا جواب ، وقد لاحظت **ياسمين** هذا الشرود لتخرجها منه :

_ لا تتعجبي للفرق ، فهذه سنة الحياة ، ولا يوجد شيء يدعو للدهشة هكذا ، انقلبت الأدوار فقط ، قبل آلاف السنين كان الأب هو النبيل والجيد والابن هو الوحش والمجرم لكن الآن العكس .

_ تقصدين قصة أبونا **آدم** وأبنائه ؛ **قابيل** و **هابيل** .

_ أجل ، فأبونا آدم كان نبيا صالحا ، و قابيل كان قائلا يعني بقي الأمر كما هو الأدوار فقط هي من تغيرت .

انتهى حديثهما حول هذا الموضوع وانتقلا إلى مواضيع أخرى مختلفة .

نظرا لأن البيت به غرف متعددة لم تلتقي **ياسمين** مع أي أحد من إخوة فردوس سواء **يحيى** أو **ياسين** ، لذلك لم تتعرف على أي أحد منهما ، حتى أنها ليست فضولية كي تسأل **فردوس** .

ياسين

الإنسان يكون خليطا بين الخير والشر في فطرته ، لكن هناك من يُغذي جانبه الجميل الذي يتجلى فيه الخير فيصبح عبدا قانتا ، ويفعل الخير ويتجنب الشر ، فيصبح جانبه الشرير ضعيفا حد الاختفاء ، لكن **ياسين** لم يكن كذلك ، فعوض أن يتبع ما كانت عليه عائلته إلا أنه أبى أن يفعل بفعل أمر تافه فكر به عندما كان صغيرا ؛ لاحظ دائما أن الناس الجيدين هم الأكثر عُرضة للأذى والمرض ، حتى أنهم هم الأكثر تعرضا للموت ، فمنهم من يمرض أسابيع وربما أشهر ، ومنهم من فَقَدَ أطرافه وشُلت حركه ، منهم الأعمى والأبكم والأصم ، لاحظ دائما أن المؤمنين الصادقين هم الأكثر ابتلاء ، بحث عن السبب لكنه اتجه إلى مصدر معلومات خاطئ .

وفي الجانب الآخر يرى أن الكفار يتمتعون بحياة جميلة وعيش مرفه ، أعمارهم تتجاوز السبعين ، رغم أن منهم الفاسدين أو الفاسدين هم الأكثر ، فلماذا عوض أن يموتوا بسرعة يعيشون أكثر **!!!** أليسوا هم الشريرين ، هم الفاسقين الفجار **!؟؟** فلماذا الحياة ليست عادلة ، لماذا يتألم المؤمن ويكون الكافر سعيدا ؟ رأى أن سبيله الوحيد ليعيش حياة هادئة بعيدة عن الابتلاءات والآلام هي اتباع غير سبيل المؤمنين ، فهذا سيجعله يعيش أيضا حياة طويلة ، لذلك اتخذ

أصدقاء سوء فأضلوه عن السبيل واتبع هواه ، فأصبح يسهر الليالي ويمكث مع أصدقاءه في الرفاهية متجاهلا "***حي على الصلاة حي على الفلاح*** " فأصبح له صاحبات ، ولا يعرف المسجد شكله ولا رائحته ، والقرآن لا يسمع صوته ولا تلاوته ، لكن رغم كل هذا فعائلته زرعت فيه بذرة أمل ، وهذا ما جعل داخله ضميرا يؤنبه في كل سيئة يفعلها ، وفي كل إثم يرتكبه .

ذات يوم وهو عائد إلى المنزل بعد أن نسي محفظته في المنزل وكان الوقت أثناء صلاة العشاء ، مر قرب أحد المساجد فسمع الإمام يتلو آيات جعلته يقف مكانه متجمدا ، آيات كانت بمثابة الجواب الذي يبحث عن طيلة حياته ، جواب جعل عقله يفكر مرارا وتكرارا : *فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ)*

الأنعام (43 _ 44)

تحدث شيء داخله ، يخبره أن هذا هو الجواب الذي كان يبحث عن طيلة وجوده ، فماذا تحتاج بعد ؟ تداخلت الأفكار

مرة أخرى داخل رأسه ، فأصبح الصراع مشتدا بين النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة والنفس المطمئنة ، وهذا ما جعله يُمسك رأسه كمن يرغب في خنق عدوه بحنق .

تعجب الأصدقاء على فعل **ياسين** لماذا وقف جامدا هكذا ، بادر أحدهم السؤال :

_ **ياسين** ما بك **!؟** لماذا توقفت ؟

لم يسمع شيئا ، فالأصوات داخله كانت أكثر ضجة من التي خارجه .

نظر الأصدقاء إلى بعضهم البعض متعجبين ، ما جعل **مراد** يقترب منه ملامسا :

_ **ياسين** ماذا حدث لك لماذا توقفت ؟

_ **ياسين :** لماذا توقفتم ، هل حدث شيء ؟

_ **مراد** : أظن أن هذا السؤال موجه لك أنت ، ألم تسمع حديثي لقد سألتك نفس السؤال .

_ لا شيء ، أردت فقط أن أستريح قليلا، أم تُراه محرم علي

_ **مراد :** حسنا ، لتكمل طريقنا إذا .

تحرك الأصدقاء وكل واحد منهم يتحدث عن أمر من أمور الدنيا الفانية ، إلا **ياسين** مازالت الأفكار تتصارع فيما بينها

فهذه تعتبر نفسها الصحيحة وتلك تقول نفس الشيء ، والحديث حول شيء واحد ؛ الآيات التي سمعها قبل قليل ، هل هي رسالة له مباشرة ؟ أم تُراها فقط صدفة ؟ هل فقط هو من أحس بذلك الإحساس أم حتى أصدقاءه قد شعروا به؟ لكن لو كان الأمر كذلك لما هم هكذا ، فهذا يضحك وذاك يبتسم ، إلا **ياسين** لم يبدي أي تعبير على وجهه ، وجه خال تماما من الملامح .

بقي مع الأصدقاء قرابة الساعة ثم غادرهم على غير عادته ، وهذا ما جعل البعض يهمس للآخر متسائلين عن السبب ، لكن **مراد** تدخل قاطعا :

_ دعوه وشأنه ، ألم تروا حالته قبل ساعة كيف كانت ؟

ابتعد منهم بخطوات متباطئة ومثقلة من شدة التفكير ، ما جعله يصل إلى المنزل قبل الوقت المعتاد ، استقبلته **فردوس** كعادتها مبتسمة :

_ تفضل أخي .

كان وجهه شاحبا وكظيم ، لا يدري هل يحزن على ما مضى أم على ما فاته . اتجه مباشرة إلى غرفته ليستريح

لكن **فردوس** نادته :

_ أخي كل شيئا ، تفضل إلى المطبخ ففيه القليل من الأكل .

_ أشكرك أختاه على الاهتمام لكن ليس لي رغبة في الأكل .

لاحظت **فردوس** التغير في حديثه ، فمن قبل لم يكن يعاملها هكذا ، رغم أنها لا تراه إلا قليلا .

_ حسنا أخي ، استودعك **الله** .

_ شكرا أختي .

اتجه مباشرة إلى غرفته وارتمى فوق السرير ، له رغبة شديدة في النوم ، لم يكن ينام كثيرا في الليل لكن هذه الليلة كغير الليالي ، بقي يترنح فوق السرير قرابة الساعة بدون نوم ، الأفكار فقط تسيطر على هذه الليلة فلم تدع النوم يأتي كما كان يفعل ، فجأة سمع صوت في داخله يردد :

{ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أغنى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ، خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ، لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ }

أفزعه ما سمع ، أغلق أذنيه فلم يحتمل ما سمعه ، لم يعد يعلم ما يفعل ، كأن الآية موجهة له ، فأصبح يهلوس :

_ هذه الآية موجهة لمن لا يؤمن بالله ، أليس كذلك ، أنا

لست كافرا إنما فقط عاص ، أليس كذلك ! أنا لست كافر ، أنا فقط مذنب ، أليس كذلك ، يا أيتها النفس أين أنت ، أخبريني وحدثيني ، قولي أنني لست المقصود في هذه الآية

وبينما هو كذاك يحدث نفسه سكتت جميع الاصوات الأخرى داخل رأسه ، كأنها اتخذت لنفسها منصة وبقيت تشاهد هذه التحفة ؛ شخص يحدث نفسه ، ربما تنتظر الأفكار أن يُصبح صاحبها مجنونا ، آنذاك ستكون لها الحرية المطلقة ؛ تفكر فيما شاءت ومتى شاءت وكيف شاءت .

☆☆☆

¤ ياسين ¤

ما أصعب أن تعيش حياة لا ترغب بها ، وما أقسى أن تفعل أشياء لا ترغب في فعلها ، ليس اضطرارا وإنما إدمانا عندما تفعل أشياء وتكررها كل يوم ، يوما ما ستستفيق وتدرك أنك أصبحت مدمنا على ما تفعل ، والإدمان يختلف من شخص إلى آخر ، فهذا مدمن على الهاتف وذاك مدمن على السهر ، وهذا مدمن على التدخين وذاك مدمن على الكحول ، وهذه مدمنة على التجميل وتلك مدمنة على التجمل ولكل شخص منا نصيبه من الإدمان ، والأصعب في الأمر هو أن البعض لا يدرك أنه مدمن فيعيش مع هذا الإدمان كأنه جزء منه ومن حياته ، وبهذه الحالة نعود إلى ما تحدثتُ عليه في البداية ؛ *ما أصعب أن تعيش حياة لا ترغب فيها* ، أقصد أننا بسبب الإدمان نفعل أشياء نكرهها ، ليس حبا لها وإنما إدمانا لها ، فيصعب علينا التخلص منها ، نحاول جاهدين لكن أغلبنا يفشل نتخلص منها يوما أو ثلاثة ثم نعود كأننا لم نتخلص منها بالأمس ، وهذا ما أعيشه كل ليلة وضحاها ، لا تحسبوا أنني أحب أعمالي الدنيئة التي أقوم به كلا ، إني في كل إثم أفعله رغما عني أخشى أن تتوفاني الموت في تلك اللحظة ولست من الصالحين ، لست من

التائبين ، ومصير من هم مثلي جهنم خالدين فيها أبدا وساءت مصيرا .

اليوم أتتني رسالة من رب العباد ، أحيت ضميرا كان نائما في أعماقي ، استفاقت النفس اللوامة لتقوم بعملها من جديد وعلى أكمل وجه ، لم أنم هذه الليلة بفضلها فبقيت ساهرا رغما عني متفكرا في مصيري الذي بدا لي واضحا أمام عيني ، مصير لا يختلف عن مصير من قبلي من العاصين ، أخشى أن أكون مثل إبليس عندما يقف على أصابع رجليه لتشمله رحمة ربي ، الفرق بيني وبينه هو أنني الآن لي فرصة لأتوب لأستغفر لأقول أني عبد فقير وحقير ، لا يستحيي من رب العباد ، الآن سأعترف بأنني كنت مذنبا وما زلت .

بقيت على حالتي تلك أفكر ماذا علي فعله ، لكن الحل أبى أن يأتي ، حتى النوم يبدو أن اليوم ليس يومه ، ومزاجه ليس في محله فهو أيضا ذهب بلا عودة ، أخذت هاتفي لعله يكن سببا في راحتي قليلا وبدأت أتصفح بعض المواقع وأقرأ أشياء لا أدري ماهيتها ، وأخيرا نجحت خطتي بعد سويعات لقد عاد النوم إلى مكانه وبدأت جفوني تنغلق شيئا فشيئا ، وفي لحظة لا أتوقعها وبينما كان الفرق بيني وبين سبات

عميق ثواني قليلة سمعت صوتا يأتي في الغرفة المقابلة لي :

_ تبا ، إنه **يحيى** مجددا .

عادة ما يستيقظ أخي في هذا الوقت ، يعني قبل الفجر بقليل يقوم الليل كما يزعم ، أغلقت أذنين بالوسادة عل هذا يخفف وصول صوته إلى غرفتي ، لكن عندما حل صمت قاتل في رأسي سمعت آيات تُتلى طردت النوم من حولي ، آيات زلزلت فؤادي ، خاصة وأن **يحيى** بنفسه لم يتحمل فبدأ بالبكاء الخفيف ، لزمت الصمت التام لسبب لا أعرفه وبدأت الآيات تُتلى مرة أخرى :

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ

بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)

الأعراف (36_41)

وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ، هاهنا يعترفون لكن الأوان قد فات ، فالآن لا ينفعهم مال ولا بنون ، الفرق بيني وبينهم هو أنني اعترفت الآن فهل هذا يعني أنه قد آن أواني لأموت كما ماتوا ، أليس هذا مصير كل واحد ممن يفعل هذا !

أليست كل هذه الآيات عبارة عن رسالة لي ؟ أليست نذيرا وتحذيرا ؟ لكن الأمر مخيف ومرعب ، كلها رسائل مخيفة ، النار ، العذاب ، السعير ، قال عز وجل أن الذين استكبروا عن آياته لن يدخلوا الجنة ولن تُفتح لهم أبواب السماء حتى يلج الجمل في سم الخياط ، يعني مستحيل أن يدخلوها أبدا ، كأنك تقول لي لن تنجح في حياتك حتى تلد الأم ابنها بحيث يكون أكبر منها عمرا ، يعني شيء مستحيل أبدا لن يقع _

التفسير الذي وضعته للآية إنما هو اجتهاد مني وليس شيء آخر ، يعني لم أستعره من أي حديث ولا من أي شيخ

من علماء الإسلام ، فإن أصبت في التفسير فهذا من فضل ربي ، وإن أخطأت فعلي إثمي وأسأل من الله المغفرة .

عادت الأفكار تتصارع في عقلي وأبحث عن حل لها بدون جدوى ، وبعد مدة سمعته يقرأ مجددا ، ربما هو في الركعة الثانية ، يقرأ آيات أخرى لم تزدني إلا خوفا أكثر مما كان :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ)

طـه (124 _ 125 _ 126 _ 127)

بقي عقلي جامدا ولم يعد يدري ما يفعله ، في تلك اللحظة أحسست بفؤادي كأنه يبتسم ، لا أدري هل هو استهزاء منه للعقل أم هو بسمة لأنه وجد الطريق الذي كان يبحث عنه سنين عددا ، أصبح قلبي هو المسيطر أو هذا ما كان يعتقد ، أصبح يلومني كما لم يفعل من قبل ، تيقنت أنني أعيش في ظلمة حالكة السواد ، كيف سأسامح نفسي بعد كل ما فعلت ، أي عار قد جلبته إلى عائلتي ! عار علي ، لم أكن أستحق أن أكون شخصا من أفراد هذه الاسرة التقية ، كنت أتخيل فقط

الأشياء التي قمت بها وأقارنها مع أفعال عائلتي فأستحيي حتى من التفكير ، أي مصير أستحق أي عقاب يليق بشخص مثلي ! الموت ، الموت يخجل من أن أكون ضحية من ضحاياه ، رفعت يداي مستقبلا القبلة بلا وضوء :

_ أيا ربي هل لأمثالي من توبة ؟ هل لأمثالي من مغفرة ؟

أيا ربي قد بلغت ذنوبي عنان السماء فهل تشملني رحمتك

ربي إني لا أحسن الدعاء ، فمن أين لي بالمعرفة وأنا بالأمس كنتُ مذنب ، ربي أنت تعلم ما في نفسي فاستجب لي إلهي .

سأقبل يا خالقي من جديد كما أنت مني إلهي تريد

وأرجو إذا أنت تقبلني جنان الخلود ومنك المزيد

عصيتك ربي فأمهلتني وسترتني رغم أني عنيد ، لأنك ربي غفور ودود رحيم بكل الورى والعبيد

أتيتك يا خالقي باكيا ودمع الأسى كل حين يزيد ، فقد قلت في الآية لا تقنطوا ، وإن تعفو عني فذا يوم عيد ، سأترك يا ربي ذنبا مضى ، وأقبل نحو الرضى والنعيم ، أحبك ربي وهذا رجائي بأن تقبلني

إلهي وقفت دموعي تسيل ، وقلبي ببابك باك ذليل ، فذنبي

كبير وزادي قليل ، فمَنَّ علي بعفو جميل

أتيت إلى أرحم الراحمين وكلي اعتقاد وكلي يقين بأن لديك شفاء العليل

أسألك مغفرة للذنوب ، وسترا لما مسني من عيوب ، فأنت إلهي طبيب القلوب ، ونور هداك يضيء السبيل .

قبل الفجر بقليل غفوت بصعوبة ، حتى أنني لم أنم يومها كل الوقت الذي كنت أنامه ، فقد استيقظت مبكرا ، بالأحرى استيقظت مبكرا بالنسبة لي فقط ، فقد وجدت الجميع مستيقظين كعادتهم ، أنا الوحيد المتأخر كعادتي أيضا ، استيقظت لما بلغت الشمس مبلغها وأخذت مكانها الذي يليق بها : وسط السماء ، وجدت الجميع تناول إفطاره والبعض منهم خرج ، والدي إلى العمل و **يحيى** رافق والدتي إلى مكانها ، فهي استاذة فقه في مسجد حينا ، نادتني **فردوس :**

_ أخي ، فطورك جاهز ، أبشر ، لقد أعددت وجبتك المفضلة البيض بالطماطم ، رغم أننا أكلنا أقل من هذا .

_ حسنا أختي ، سأغسل يداي ووجهي ثم أحضر .

بعدما تناولت وجبتي خرجت مباشرة إلى الأصدقاء ، فقد

اتفقوا على أن أخبرهم ماذا حل بي ليلة أمس ، ما إن وصلت إلى مقرهم حتى لاحظت غياب **مراد** ، وبعض الاصدقاء بظهر على وجههم الحزن ، أو هذا ما ظننت ، سألتهم مستفسرا :

_ أين **مراد** ؟ وما لي أرى وجوه بعضكم حزينة هكذا ؟

تدخل أحدهم مجيبا :

_ لقد مات ؛ بعد أن افترق معنا ليلة أمس صدمته إحدى السيارات وهو في حالة سكر ، مع الأسف كانت الضربة قاسية وأودت بحياته .

_ ماذا ؟؟ هل حقا ما تقول !!

_ أجل ، عندما صدمته السيارة هرب صاحبها مباشرة وبقي **مراد** مستلقيا على الطريق ولم يُعِره أي أحد الاهتمام ولم يتصل أحد بسيارة الإسعاف حتى أتى رجل الشرطة الذي كان مكلفا بالمراقبة الليلة ، أخذه مباشرة إلى المستشفى ، لكنه مات قبل أن يصل به الشرطي إلى المستشفى ، يعني مات المسكين موتة الكلاب ، أخذوه ووضعوه في المشرحة ربما تبرعوا بأعضائه ، وفي الصباح أخذوه للدفن ،المسكين لم يحضر أي أحد جنازته سوى من يحمله ، يعني عاش وحيدا ومات وحيدا مجهولا ، حتى الأعداء لن نتمنى لهم

مثل هذا الموت .

هنا استفاقت أفكار الأمس ، هذا مصير كل من علا وتجبر ، كل من عصى وتكبر ، أترضى لنفسك أن تموت هكذا ؟ أترضى لنفسك أن تعيش وحيدا وتموت كذلك وحيدا كالحيوانات ؟ بل الحيوانات أصبحت لها عشيرة فلا تموت وحيدة ، لن يعرف أحد موتي ، لن يحضر أي أحد جنازتي ، لن يعرفني أحد بعد مماتي ؛ ذكرى حذفت ، زيادة فوق الأرض انتقلت إلى الأسفل ، أتريد أن تعيش عاصيا وتموت مذنبا ؟

غزت الأفكار عقلي وهذا ما جعلني أُغادر المكان وأعود مباشرة إلى المنزل ، قررت أن أتوب وسأذهب مباشرة للوضوء ثم أحمل القرآن وأفتحه ، وفي أي آية أتت فيها عيناي سأعمل بها .

توضأت وأخذت القرآن ، فتحته وإذ بعيني تقع في آية شرحت صدري ، محت حزني وهمي ، فرجت كربتي وأعادت بسمتي :

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا

تُنصَرُونَ

الزمر (53 _ 54)

انتابني شعور كأنني أملك سعادة كل فرد سعيد في هذا العالم ، فرحة لا أستطيع وصفها كأنني وُلدت من جديد ، استطيع اختصار فرحتي بالتالي : تخيل أنك في صحراء كبيرة جدا لا تنتهي من جميع الجهات أي أنها على مد البصر ، لا إشارة ولم يعد لديك ماء للشرب ، خارت قواك ووقعت أرضا ، ثم بدأت تزحف شيئا فشيئا ، وبينما عيناك تشهدان الموت وأنت قد استسلمت إذ بماء ينبثق تحت رجليك ويخرج من فراغ ، ماؤه عذب فرات طيب المذاق ، تخيل شعورك في تلك اللحظة ، أنا الآن شعرت بذلك تماما ، حياة جديدة تماما .

خرجت من الغرفة مسرعا ، من شدة سعادتي ذهبت إلى أختي وقبلت رأسها ، تعجبت في بادئ الأمر لكنها تبسمت بعدها ، خرجت مسرعا إلى مكان هو بداية هدايتي ، قطعت نصف الطريق في نصف ساعة ثم عدت أدراجي أريد أن أسأل أختي عن مكان **يحيى** وأثناء عودتي وجدتها في طريقي :

_ أختي الحبيبة **فردوس** كيف حال صغيرتي ؟

_ رأيتني قبل قليل أخي !

_ رغم ذلك كيف حالك ؟

_ كيف حالك أنت ؟ فمنذ الصباح وأنت هكذا ولا أدري ما بك التقيت **بيحيى** قبل قليل أردت أن أُحدثه عن أمرك لكني قلت سيفهم من تلقاء نفسه عندما يراك .

_ أتيت إلى ذلك بالضبط .

_ إلى ماذا ؟

_ أبحث عن أخي الغالي ، أين هو الآن .

_ لا أدري ما بك اليوم ، إنه هناك في ذلك المقهى .

_ حسنا صغيرتي ، اقتربي لأقبل رأسك الغالي . حفظك الرحمن لنا .

غادرت مباشرة إلى المقهى مخلفا ورائي **فردوس** وهي ما زالت تبتسم بدهشة بدت واضحة من بعيد ، عندما اقتربت من المقهى لاحظت رجلا يضع يده خلف ظهره وهو يتجه إلى رجل آخر بغضب ، وقفت أمامه باحترام مسائلا :

_ السلام عليكم أخي ، لما أنت غاضب هكذا ، عساك بخير

_ أي خير وأي طمأنينة ، لا راحة لي قبل أن أنتقم لولدي ، سأجعل هذا الوضيع عبرة لمن هم أمثاله .

_ هداك الله خالي ، أي انتقام وأي رجل ؟

_ أنظر إلى تلك الساحة أمام المقهى ، أترى ذاك الرجل ، إنه الهارب الذي قتل ابني في الأمس وهرب .

_ هل أنت والد **مراد** ؟

_ من أين تعرف ابني ؟

_ كان من أعز أصحابي ، لكنه لم يحدثني عنك من قبل

_ لأني لم أكن حاضرا في حياته بشكل واضح ؛ لقد غادرت المنزل مذ كان صغيرا ، لكني لم احتمل هجران عائلتي وأصبحت أترقب رؤيتهم ، لذلك أُراقبهم فقط من بعيد ، وفي الأمس قررت بعد سنين أنني سأواجه عائلتي وأتقبل الأمر أيا كان ، سأطلب منهم المسامحة ، وبينما أنا متجه إلى ولدي أتى ذاك الحقير بتلك السرعة وأخذه من بين يدي ، ثم هرب كأن شيئا لم يحدث ، لم أتحمل رؤية ولدي يصارع الحياة فذهبت دون أن أقترب ، لكني اتبعت هذا الوضيع حتى علمت مكانه ، والآن سيلقى مصيره هو أيضا .

دفعني وأسرع إلى ذاك الرجل بحقد ، استشعرت الخطر القادم لذلك أسرعت إلى الرجلين قبل أن يقع شيء ، وصلت بعدما بدأ الرجلان في العراك والتلاحم فيما بينهما ، دخلت

مجبرا إلى الوسط أدفع هذا وذاك ، وفي لحظة غفلة مني أخرج **أبو مراد** السلاح وأطلق الرصاص ، بقينا جميعا جامدين بعد ذلك الصوت ، فنظرا لكوننا في نقطة واحدة لم يتأكد **أبو مراد** من أنه أصاب الشخص المقصود ، لكنه لما رأى الدماء تسيل مني هرب من المكان بسرعة ، وكذلك القاتل الأول أراد الهروب لما رأى أنه سيحمل وزر هذه الجريمة ، لكن بكل ما أوتيت من قوة ضربته في عنقه فأغمي عليه ، لم أستطع أن أمنع المجرم الأول لكني منعت الثاني ، هل هذا سيكون سببا في توبتي ، هل هذا كفيل كي يغفر الله لي ذنبي ، كي يرحمني برحمته ، لكني لم أفعل شيئا ، لم أصلي لم أتصدق ولم أفعل خيرا ، كل شيء فعلته كان أسوء من الذي قبله ، تذكرت كيف مات **مراد** فأخبرت نفسي ، ألم يكن من الأفضل أن تموت مباشرة كما مات صاحبك ؟ هو مات بضربة واحدة ، لكنك أنت الآن تتعذب في كل لحظة ، هل هذا يعتبر من العذاب ؟ هل هو جزء من عذاب الآخرة ، أجابت نفسي اللوامة : ***ولعذاب الآخرة أشق*** لم ألاحظ التجمعات التي أتت إلي فأحسست ببرودة شديدة حتى أنها كانت السبب في نومي .

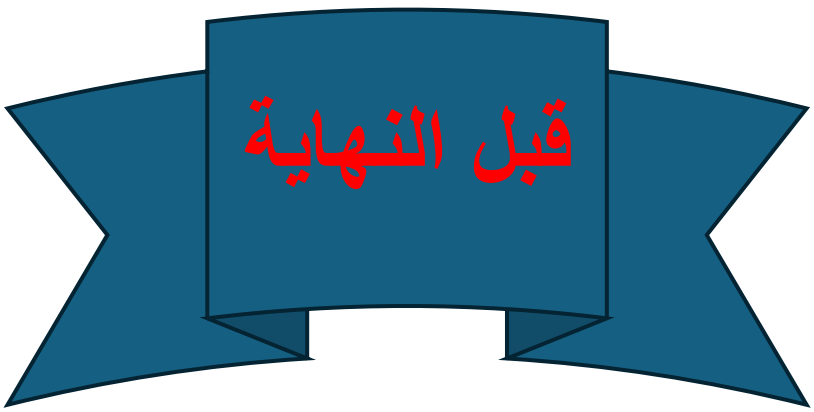
قبل النهاية

☆☆

بعد أن خرجت **ليلى** و **ياسمين** من المقهى وجدوا **يحيى** يحمل **ياسين** في حضنه وهو يبكي ، وهذا ما جعل **ليلى** تتصل على أبيها الذي حضر في الحال وبدأ العمل لعله يجد الفاعل ، وبينما الجميع منهار وخائف هناك في زاوية بعيدة قرب مخرج المقهى تجلس **ياسمين** وهي تضع رأسها بين رجليها وتبكي ، ما جعل صديقتها تتقدم إليها وتواسيها ظنا منها أنها تبكي لأنها متأثرة بما حدث ، لكن الحقيقة مختلفة تماما ، فهي تبكي لأنها تشك بأنها تعلم الفاعل ، أي من تسبب في إصابة هذا الفتى الشاب ؛ *أبوها* فهي لم تره منذ مدة ، وتعلم حقيقته وما هو قادر على فعله بدون أن يفكر بالنتائج ، متناسية أن أباها الآن في غيابات السجون .

بعد قليل وتماما قبل أن تأتي سيارة الإسعاف أتت **فردوس** وهي تجري ، فنظرا لقرب المسجد من المقهى سمعت أيضا صوت السلاح وأتت مهرولة ، وما إن رأت أخاها **يحيى** حتى تعرفت عليه وبدا عليها القلق من أن يكون ما تتخيله قد حدث ، اقتربت من أخيها وهي ترتعد خوفا من المفاجأة ، وما إن سمعت بكاء **يحيى** حتى تحققت فرضيتها أو بالأحرى شُؤمها ، وجلست قربه وهي تبكي بنواح ممسكة بأخيها من

الخلف محتضنة ، تواسيه ويواسيها بالبكاء ، حتى أن الجميع تعاطف معهما وبدأوا يفعلون كل ما يستطيعون فعله .

عندما تحسنت **ياسمين** قليلا لاحظت أن مكان الحادثة به أكثر من شخصين ، وعندما تمعنت في الأمر وجدت المضاف هي صديقتها القريبة **فردوس** ، تعجبت كيف لها أن تقترب من فتى بهذا القرب ، فهي فتاة متحفظة وكذلك حتى عند المواساة لن تقترب منها ، ما جعل أفكار شؤم تأتيها من جديد ؛

_ *ماذا إن كان أخوها ؟*

أخرجت الأفكار من رأسها بسرعة وهي تحرك رأسها بعنف ما أدى إلى تدخل **ليلى** كي تمسكها مما تفعله ، أوقفتها متسائلة :

_ **ياسمين** ، ما الذي يحدث معك ؟

_ لا شيء ، أنا أعرف تلك الفتاة ، لكني لا أعرف أي أحد من الفتيان .

_ وماذا في ذلك ! هل كل من تعرفه صديقتك يجب عليك معرفته أيضا ؟

_ ليس كذلك ، ألم تري كيف اقتربت من الفتى كل ذلك

القرب ، هي فتاة لا تفعل ذلك .

_ وما المانع في الاقتراب ، ربما تريد مساعدته فقط ، ليس إلا .

تذكرت **ياسمين** أن **ليلى** أتت للتو من الخارج ، وهذا عرف عادي عند الأجانب ، وأنها اعتادت على الأمر .

_ لا ، هناك حرمات لا يحل للمرأة أن تجتازها كما لا يحل للرجل أن يجتازها .

لم تدع الفرصة لصديقتها كي ترد عليها ، وقامت مباشرة باتجاه **فردوس** كي تسألها عما يحدث .

_ **فردوس !** ما الذي يحدث هنا ؟

استدارت **فردوس** ورأت صديقتها فتذكرت أنها أيضا كانت في هذا المقهى كما حدثَتْها من قبل، هرولت إليها باكية وهي تقول بين شهقاتها :

_ إنه أخي ، إنه أخي .

عندما سمعت **ياسمين** الإجابة خرَّت أرضا وهي تبكي بجانب **فردوس** .

بعد أن وصلت سيارة الإسعاف أخذت المصاب فرافقه كل من **فردوس** و **يحيى** ، غادرت المكان والجميع في خوف

من أن يعود المجرم في أي لحظة ، ما جعل الجميع يفترق وكل إلى مكانه .

ذهبت **ليلى** مع أبيها إلى البيت بعد أن ودعت **ياسمين** ، فهذه الاخيرة لم ترغب من الذهاب إلى أي مكان سوى البقاء في المسجد ، فهو مصدر الطمأنينة لها ، دخلت المسجد وجلست وحيدة وهي تناجي ربها :

_ ربي إن الفتى أتانا حاميا فاحم أخاه من أن يصيبه أي أذى اللهم إن الفتى خاف على روحنا قبل روحه فاحفظ روحه من أن تحترق بفقدان أخيه . اللهم إن الفتى عبد من عبادك المخلصين فلا تفجع أهله بموته ، اللهم احمه واحم أخاه من أي سوء ، ربي إن صديقتي في ضيق وحزن وخوف فاللهم أنزل عليها طمأنينة من عندك وألزمها الصبر ولأهلها ، اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك ، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تحمي أهل هذا البيت ، اللهم إني أسألك بكل خير فعلته أن ترد هذا الفتى إلى أهله سالما غانما ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ركبت **ليلى** السيارة مع أبيها وهي شاردة الأفكار ، خانتها الذاكرة وعادت بها إلى مسرح الجريمة ، وهذا ما جعلها

تتفكر في حالها ونفسها محذرة :

_ أيا نفسي ألا ترين الموت للعباد بمرصد ، ألا ترين أن الموت يأخذ هذا وذاك وأنتِ ما زلت في طغيان ، توبي إلى رب العباد قبل أن يأتيك الموت وأنت في سبات اليقظة

ماذا ستقولين للخالق يوم لا تملك نفس لنفس شيئا

ماذا ستقولين للخالق يوم يفر المرء من أسرته فرا

ماذا ستقولين للخالق عند الحساب ولك ذنبا عظيما

ماذا ستقولين للخالق إن سألك لماذا فعلت كذا وكذا

هل ترضين لنفسك أن تعيشي حياة جميلة وتموتين موتة الكفار ؟ أليس من الحسنى أن نعيش تعسا ونموت مسرورين هل ترضين لنفسك أن ترين المؤمنات القانتات يتسابقن إلى الجنة وأنت تتسابقين عكس نهجهم ؟

ألا يكفيك كل ما فعلته من ذنب ! قولي كفى وعودي قبل أن تأتي الموت بعدها ستقولين ربي ارجعني لعلي أعمل صالحا في ما تركت ، تدرين ما الجواب ؟ إنه كلا إنها كلمة يقولها كل من غادر الحياة الدنيا وفي صفيحته القليل من الحسنات والكثير من السيئات ، رب ارجعون ، كلمة مخيفة لأن الجواب قاطع ، لا عودة بعد ذاك الطريق أبدا .

بعد الحديث الطويل بين **ليلى** ونفسها قررت العودة والتوبة فالحياة هي الشيء الوحيد الذي يجعل الإنسان يفكر كل مرة في أفعاله قبل أعماله ، طلبت من **أنس** أن يوصلها إلى المشفى علها تقدم بعض المساعدة ، فقد أخبرتها **ياسمين** إنهم ينادونهم من أجل التبرع بالدم في أسرع وقت ممكن .

بعد مرور أسبوع

دخل **يحيى** مع أخته إلى غرفة المريض بابتسامة على الوجه ، قبل أيام استيقظ **ياسين** وقد تجاوز مرحلة الخطر ، تم إخبارهم بأن العملية مرت بسلام وكان له حظ وفير كأنها فرصة له من حيث لم يحتسب ، فقد أصابت الرصاصة صدره وكانت قريبة جدا من القلب لكنها انحرفت عنه قليلا :

_ **يحيى** : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أخي الكريم ، كيف أصبحت ؟

_ **ياسين :** وعليكم **السلام ورحمة الله وبركاته** بخير أخي ، بخير ، ما زلت أشعر ببعض الألم هنا ، لكنه سيزول .

_ **يحيى** : طهور إن شاء الله .

_ **فردوس** : هل تحتاج إلى شيء أخي ، تريد أن أحضر لك

شيء ؟

_ **ياسين :** لا أختي أشكرك ، أريد فقط من أخي أن يتحدث قليلا .

ظهرت الحيرة على وجه **يحيى** فهو لا يدري ما يقصده **ياسين** ، هذا ما جعل **فردوس** تتدخل وتقترب من أذنه هامسة :

_ **فردوس :** أردت إخبارك من قبل ، لكني ظننت أنك ستعرف عندما تراه ، لقد تغير كثيرا ، حتى أنه أصبح يعاملني بطريقة لطيفة جدا .

_ **يحيى** : إذا حان الوقت الموعود .

لطالما ظن **ياسين** أن لا أحد من عائلته يعلم بمصائبه وآثامه ، وأنه نجح في إخفاء الأمر عن أعين الناس ، لكن على العكس تماما ، فقد كان **يحيى** على علم بكل التفاصيل التي تخص أخاه ، كان يراقبه في كل فرصة يجدها ، في كثير من المرات حاول أن ينبه أخاه دون التدخل لكنه لم يستطع ، وها هي قد آنت الفرصة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر، كان **يحيى** وما زال ينشغل بأمور الآخرين ويتجاهل نفسه ، يسارع إلى إيجاد حلول الآخرين وينسى همه ، لا يهتم بنفسه جدا ، ولن يهتم حتى يجد حلول الآخرين .

_ **يحيى** : حسنا أخي اسمع ؛ أقول لك كما يُقال لكل مريض اصبر على ما أصابك واعلم بأن الصبر ضياء والضياء إشراق مع إحراق ، فاصبر على مرضك واجعله نقطة تحول لك ، اجعله إعلانا لتوبتك وطريقا لعودتك ونهاية لغفلتك ، احمد الله واسأله الصبر فيه والرضا به والشكر عليه ، واحمد الله أن ما أصابك لم يكن في دينك ، فمرض البدن صاحبه يؤجر ومرض الدين صاحبه يؤزر ، واحمد الله فلست وحدك ، فقد سبقك الكثير وشاركك الكثير ويلحق بك الكثير اصبر لكل مصيبة واعلم بأن المرء غير مخلد أو ما ترى أن المصائب جمة وترى المنية للعباد بمرصد ، من لم يُصب ممن ترى بمصيبة هذا طريق لست فيه بأوحد ، نعم لست وحدك فليس البلاء عقوبة لشرار الخلق ، لست وحدك فقد ابتلي النبي صلى الله عليه وسلم في جسده وعرضه وأهله وماله ، ضُرب وطُرد وشُتم واتُّهِم وكُذِّب عليه الصلاة والسلام ، وتيتم وهُجر وافتقر ، ومرض وسُحر وغُلب ، وشُج وجهه عليه الصلاة والسلام ورُمي سلى الجزور على جسده الطاهر ، لست أكرم على الله من نبيه ، لكن الله يبتلي من يشاء من عباده ليزكيه وينقيه ثم يعطيه فيرضيه ، فأبشر واطمئن واصبر ، وفي اختبار البلاء يخفق الضعفاء ، لا تجزع ولا تفزع لا تقنط ولا تيأس ، لا تشتكي

فالشكوى لغير الله شكوى الضعيف إلى ضعيف ، وشكوى المحتاج إلى العاجز ، فكتمان المصيبة من كمال الصبر وتمام الرضى ، وكثرة الشكوى لا تدفع البلاء بل تجلب الشقاء وتضعف الشفاء وقد تحبط الأجر ، تعَلَّم الشكوى لله لا الشكوى على الله ، يقول جل جلاله إن الإنسان لربه لكنود ، أي جحود يُعَدد المصائب والمشكلات والمحن وينسى ويتجاهل ويتغافل النعم ، إن سُئل عن حاله ولول واشتكى وتذمر ، ولبس ثوب المظلوم المحروم ، وتمثل دور الضحية يمله الناس فلا يتفاعلون مع آلامه ولا يأنسون بكلامه .

لا تشتكي فإن الجرح لا يُؤلم إلا صاحبه ، ومن عرف الله ما شكاه ومن عرف الناس ما اشتكى إليهم ، لا تشتكي من الله ولا تشتكي لغير الله فلشكوى والتذمر رائحة تفسد أجواء الناس من حولك ، وتحط من قدرك وتجعل الحوار معك ضربا من المجاملة المتكلفة ، وليكن يقينك بالله وأحسن الظن به ، ولا تأخذ كل ما يقال لك على أنه الحقيقة وأنه سيحدث .

مهما قال الطبيب فالجراح يوما ستطيب
مهما طال الانتظار فالله يوما يستجيب

لا تعترض فليس لمعترض نصيب
لا تشتكي للناس ليس منهم من يجيب

لا تفزع ولا تجزع لا تيأس ولا تبأس فجراحك يوما ستطيب مهما زاد بكاؤك صعب دواؤك طال بقاؤك أنت في الدنيا غريب أنت أياما تعيش ثم يوما ستغيب .

تنطوي صفحات أمسك ، تذهب آلام بأسك ، تشرق أنوار شمسك عند رحمان قريب ، أنت في الجنة لا تمرض ولا تسقم ، لا تجزع ولا تهرم أنت في الجنة صدقا دون ريب ، عندها ستقول ربي ؛ كل هذا الخير من عضو أصيب ، أيا ربي أنت حسبي هاك جسمي هاك قلبي أنت علام رقيب ردني فيها لأسقم ساعة فيها لأنعم باقي العمر وأغنم ، أنت وهاب مجيب .

أترى يا **ياسين** ، الجواب الذي كنت تبحث عنه ؛ لماذا الابتلاء دائما يصيب المؤمنين ؟

يبتليهم الله ليقربهم إليه ، فلا يبتلي إلا من أحب ، واعلم أن باب التوبة دائما مفتوح ما دمت حيا بالطبع .

_ **ياسين :** بارك الله فيك أخي الكريم ، من أين أستطيع أن أجد أنا أيضا كل هذا العلم ، لعل هذا يكون أولا عمل لي بعد الخروج إن شاء الله .

_ **يحيى :** ولا تقل لي بماذا نلت جيدها ، فما يقال لفضل الله ذا بكم .

_ **ياسين :** حسنا حتى أخرج وننهي الحديث ، لكن الآن أريد المزيد ، حديثك لا يمل منه أبدا ، جزاك الله عنا خيرا أخي الكريم .

_ **يحيى** : أمين وإياك أخي الحبيب ، اذا موعدنا غدا إن شاء الله ، سآتي مع إخوتي ، **صالح ولوط** والآخرين إن شاء الله ونبدأ في درس آخر ، هيا بنا أختي ، لندع الأخ يستريح .

_ **فردوس :** حسنا أخي ، هل لك أن توصلني إلى المسجد ، فقد اتفقت مع **ياسمين ، ليلى ، سندس ، وأحلام وسلمى** أن نلتقي في المسجد ، لدينا حصة مع **ياسمين** .

_ **يحيى** : هل هي تلك الفتاة التي اقتربت منك يوم الحادثة ؟

_ **فردوس :** نعم إنها هي ، هل رأيتها من قبل ؟

_ **يحيى :** كلا ، كان ذاك اليوم الأول ، كان فتاة في غاية الانضباط ، ما شاء الله ، لو أصبحت بنات المسلمين كلهن مثلها من جهة ومن جهة أخرى فتيان المسلمين لو كانوا صادقين لكان ديننا في أمن وأمان .

_ **فردوس** : ولن يكون الاخير .

_ **يحيى** : من ؟

_ **فردوس :** هيا بنا أخي ، اقترب موعد دخولي .

في المسجد

جلست الفتيات كل واحدة في مكانها ، حيث جلست **ياسمين** في المقدمة بعد غياب **حفصة** _والدة **فردوس** _ جلسن بتأن وهن مستعدات لبدأ المحاضرة :

_ **ياسمين** : أريد الحديث اليوم عن شيء تعرفه كل واحدة منكن ، موضوع لا يخفى على الكبير ولا الصغير ، لطالما سمعنا أن أكثر أهل النار هن النساء ، أليس كذلك ؟

_ (بنبرة واحدة) : نعم .

_ هل سألتن أنفسكن لماذا ؟ سأجيبكن ، لأن أصل الأمر هو كالتالي : أكثر من يُدخل إلى النار هو اللسان ، أي كثرة الحديث والنساء معروف عليهن كثرة الحديث ، لكن هذا لا يعني أنه يجب عليهن عدم الحديث ، كلا لولا حديثها لما تعلم الرضيع التحدث ، فبفضل حديثها المستمر يتعلم الفتى الصغير التحدث في أوقات مبكرة ، لكن ما يجب عليهن فعله هو وزن كل ما يخرج منهن قبل أن يتحدثن ، اجعلوا هذا كقانون يُسير حياتكن ، لا نتحدث حتى نزن كلامنا ، فكما تعلمن أيضا أن في الجنة حور عين وليس فيها شيء يذكر وجود الرجال ، ألا تردن أن تكن مرافقات أزواجكن إلى الجنة ؟ ألا تردن أن تكنَّ من أهل الجنة ؟ يجب علينا أن

نخاف من أن لا نكن ممن قيل فيهم : وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ، أفواج تدخل إلى الجنة ، أليس من الخزي أن نكون من أمة الحبيب المصطفى ولا نكن من هذه الأفواج

سؤال يجول في عقلي كل مرة ، هل إن دخلنا إلى الجنة سنتعرف على أصحابها ، هل نحن الآن نعرف الصحابيات الجليلات ؟ هل نعرف الصالحات القانتات ؟ أم أننا نعرف أهل النار أكثر من أهل الجنة ، أليس هذا شيء مخيف ؟

إنما الأولى هو أن نعرف أهل الجنة أكثر من أهل النار .

أليس من العيب أن لا نكن على دراية بأهل الجنة حتى يكن لنا نصيب في مجاورتهن ، والله إن التفكير في الأمر فقط لهو مخيف جدا .

_ **فردوس :** صدقت والله أختاه ، إن الأمر لهو مخيف كما هو محزن ، أليس من الأولى أن نقرأ سيرة الصحابيات والصالحات ! وفي الجانب الآخر يجب علينا أن نسمع أكثر مما نتحدث ، ما لم يكن في الأمر من أهمية للتدخل ، ففي الحديث زلات لسان قد تكن طريقا إلى السعير ، نجانا الله منها .

_ آمين .

_ **أحلام : ياسمين** ، لدي سؤال من فضلك فهل أنت مجيبة؟

_ **ياسمين** : تفضلي أختي ، كلي آذان صاغية .

_ **أحلام :** أشكرك أختاه ، ألم تقولي أنه يجب علينا أن نعرف أهل الجنة أكثر من أهل النار ؟

_ **ياسمين :** بلى أختي قد قلت ذلك .

_ **أحلام** : لكن أين سنعلم بهن وبِسيرتهن ؟ ألن نجد أثناء البحث عن خزعبلات قد لا تنتمي إلى الدين ؟ ربما نجد أحداث حول صحابية قد لا تكون صحيحة ، وقد يزيد عن ما هو حقيقي ، وكذلك ربما يكن اختلاق في الأسماء ، وهذا قد يجعلنا لا نعرف الصدق من الحقيقة في ما نقرأه .

_ **ياسمين :** أحسنت السؤال أختي ، فعلا إنه سؤال كان يجول في عقلي سابقا ، وذاك ما جعلني أيضا لا أقرأ في عمر مبكر ، حتى أنني كنت أسمع أقوال قيلت أن البخاري ومسلم قد يكونا أخطأ كلاهما في كثير من الأحداث التي نُقلت عن خاتم الأنبياء ، ونظرا للفرق الزمني قيل بأنها قد يحدث لها أي للأحاديث كما حدث مع التوراة و الإنجيل ، وهذا بالضبط ما جعلني أبحث بنفسي ، في أحد الأيام وجدت الجواب ، سمعت أحد الشيوخ يقول إجابة عن هذا الخزعبلات ؛ ألم يقل ربنا عز وجل ***إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ،*** نعم قد قالها ، قال نزلنا الذكر ولم يقل القرآن

أو الفرقان بل قال الذكر ، ونعلم حق المعرفة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، يعني معنى تلك الآية هي أنها تشمل الحديث النبوي الشريف والقرآن ، أي أن الله حفظ بمعيته القرآن والسنة .

لذلك أقول لك أختي الكريمة عندما تريدين أن تقرئي عن صحابية اذهبي إلى السنة والحديث واقرئي هناك ، فعلماء الأمة الإسلامية واضحين ومعروفين ، ابحثي وستجدي ، لذلك عندما تسمعين أقوال حول صحة السنة تجاهلي الأمر ولا تجادلي ، ففي المجادلة تلك إثم عظيم .

_ **أحلام :** جزاك الله خيرا أختي ، أشكرك .

_ **ياسمين** : آمين يا رب العالمين أختي ، **فردوس** أختمي هذه المحاضرة ، موعدنا حصة أخرى بإذن الله .

_ **فردوس** : حسنا يا إمامة ، إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، اللهم صل على سيدنا محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وأرض اللهم عن الخلفاء الراشدين والمهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

في المستشفى :

عاد **يحيى** إلى أخيه كما وعده ، وأتى معه أيضا أصدقاؤه من **صالح** ، **لوط** ، **ومعاذ** وغيرهم ، اقترب **معاذ** من **ياسين** قائلا :

_ كيف حالك أخي ؟ عساك تكن على أفضل الأحوال !

_ **ياسين :** بارك الله فيك أخي الكريم ، أشعر نفسي بخير ولله الحمد والشكر .

_ **صالح :** طهور إن شاء الله أخي .

قاطع **لوط** حديثهم مقترحا :

_ ما رأيكم أن ندخل إلى الموضوع مباشرة ، وهذا جيد كي لا نزعج المريض أكثر .

_ **ياسين :** هداك الله عن أي إزعاج تتحدث !

_ **يحيى :** حسنا أظن أن حديثنا اليوم سيكون عن أهل الجنة وما فيها .

_ **ياسين :** نِعم الموضع هو .

_ **يحيى :** لطالما سمعنا الحديث الذي قيل فيه بأن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب البشر ،

عندما نسمع هذا نفرح ونرغب بأن نكون من أهلها ، أليس كذلك رفاق ؟

بكلمة واحدة مجتمعين :

_ بلى هو كذلك .

_ **يحيى :** لكن ألم يتساءل أحدكم أن هذا ينطبق على النار أيضا كما ينطبق على الجنة ؟ إن في النار عذاب لا يستطيع العقل البشري تخيله أبدا ، فيها نار ليست كنار الدينا بل أضعافها وأضعاف ، عذاب لا يستطيع أحد تحمله أبدا ، عذاب يجعل العقل في حالة رعب عند التفكير فيه ، ولكل مذنب جزاء ، تخيلوا معي فقط وقارنوا بين النار التي نطهي بها في المنازل وبين النار الموجود في أعماق الأرض ، تخيلوا النار التي توحد في البراكين لو وقعت فيه صخرة لانصهرت ، فما بالكم بنار الآخرة التي لا تُعتبر هذه النار إلى واحد بالمائة من نار جهنم ، لذا أقول ما الذي يمنعنا من أن نحفظ أنفسنا من هذه النار العظيمة ، هل غرتنا الدنيا إلى هذا الحد لننسى وجود هذه النار ؟

أبو العتاهية اختصر الدنيا في ستة أبيات شعرية ، جميلة جداً فتأملوها جيدا وانظروا إلى جمال الكلمات التي لخصت الدنيا وأظهرت لنا ما لا نبصره بطرقنا :

- نأتي إلى الدنيا ونحن سواسية
طِفلُ الملوكِ كطفل الحاشية

- ونغادر الدنيا ونحن كما ترى
متشابهون على قبور حافية

- أعمالنا تُعلي وتَخفض شأننا
وحسابُنا بالحق يوم الغاشية

- حور، وأنهار، قصور عالية
وجهنمٌ تُصلى، ونارٌ حامية

- فاختر لنفسك ما تُحب وتبتغي
ما دام يومُك والليالي باقية

- وغداً مصيرك لا تراجع بعده
إما جنان الخلد وإما الهاوية

أرأيتم قصور عالية وأنهار جارية ، ثمار دانية وأحوال باقية ، مقامات سامية وأعمار ساكنة ، لكن في المقابل نار حامية وحياة باقية ، خلود بلا موت وحياة بلا نوم ، جحيم بلا ظلم ، كل نفس ستجد ما كانت تعمل عليه في الدنيا ، في الجنة يُقال له كل وخذ ما شئت وفي السعير يُقال له خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم .

أيهما الأفضل في نظركم ، أظن أنني لا أحتاج جوابا فهو واضح وضوح الشمس ،اذا لنعمل جاهدين أن نكون من أهل الفردوس مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين و الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، دعونا نتعرف على أصحاب الجنة ، دعونا نقرأ سير الصحابة الكرام ومن تبعهم ، دعونا نعلم من هم الأنصار ومن هم المهاجرين ، تعلمون أن الضيف لا يذهب إلى مكان لا يعرف أصحابه ، لا تستقبل كل مسافر غريب ، لا نُدخل المنزل كل شخص ، بل من نعرفهم فقط ويعرفوننا ، اذا لنعرف أصحاب الجنة .

_ **ياسين :** جزاك الله خيرا أخي ، نِعم الأخ أنت .

_ **يونس :** بارك الله فيك رفيقي وجزاك الله عنا خيرا .

_ **يحيى** : آمين وإياكم أخي آمين ، دعونا نخرج وندع الأخ

يستريح .

_ **معاذ :** حسنا لنذهب .

كان الوقت منتصف النهار، لذلك خرج الرفاق إلى المسجد مباشرة لتأدية صلاة الظهر ، وفي نفس اليوم كانت لدى **يحيى** محاضرة بعد الصلاة مباشرة .

☆☆☆

خرجت **ياسمين** مع **ليلى** لحضور محاضرة بعد الصلاة ، فمنذ أن حدث ما حدث ل **ياسين** لم تفارق **ليلى** صديقتها وأصبحت ترافقها إلى أي مكان ، حتى أنها أصبحت ترتدي الحجاب كما فعلت **ياسمين** ، تعرفت على **فردوس** فأصبحت أختها الثانية بعد **ياسمين** ، قبل أن يذهبا إلى المسجد أرادت **ياسمين** أن ترافق **فردوس** من المنزل ، لذلك ذهبتا مشيا نظرا لقرب منزل **ليلى** من منزل **آل ياسين** ، عندنا دقت المنزل خرجت حفصة مرحبة :

_ تفضلي ابنتي ، تفضلي أنت أيضا ابنتي .

_ **ياسمين :** أشكرك خالتي ، بالمناسبة هذه صديقتي **ليلى** ، إنها أكثر من صديقة .

_ **حفصة :** مرحبا ابنتي ، تشرفت بمعرفتك **ليلى** .

_ **ليلى :** جزاك الله خيرا خالتي ، أنا أيضا تشرفت بمعرفتك

بينما هن يدخلن إلى المنزل سألت **ياسمين** خالتها **حفصة** :

_ هل **فردوس** في المنزل ؟

_ **فردوس :** أنا هنا **ياسمين** ادخلي من فضلك .

_ **ياسمين :** من أين لك بهذا اللطافة اليوم **!**

_ **فردوس :** (*وهي تبتسم*) هذه حالتنا المعتادة استاذتي ، أنا دائما مبتهجة .

_ **ليلى :** فعلا أنا أستطيع أن أكون شاهدة ، فمذ رأيتها كانت مصدر بهجتي وفرحتي ، يعني بفضل الله أولا وبفضلها ثانيا وبفضلك أنت **ياسمين** ثالثا أنا على ما أنا عليه الآن .

_ **حفصة :** (*بلطف مع ابتسامة صغيرة*) **فردوس** دعي الحديث جانبا وقدمي شيئا لهاتين الفراشتين .

_ **فردوس :** حسنا والدتي ، تفضلا يا فراشات ، تفضلا .

_ **ليلى** (*بوقار وابتسامة*) حسنا يا أميرتي ، ها نحن ذا متفضلات .

_ **ياسمين :** من فضلك عزيزتي هل لك أن تسرعي قليلا ، فكما تعلمين لدينا محاضرة قيمة ، ولا يجب علينا أن

نضيعها فأنا أفضل أن أبيت بلا أكل على أن تذهب تلك المحاضرة دون أن أكون جزءا منها .

_ **فردوس :** حسنا سأسرع .

بعد أن تناولت الفتيات شيئا خرجن إلى الطريق علهن يصلن إلى المسجد قبا أن تبدأ المحاضرة ، وفي الطريق قالت **ليلى** لصديقتيها :

_ ما رأيكن أن نراهن على معرفة ما موضوع المحاضرة ! لكن ليس الرهان المعروف ، بل الفائزة سيكون من نصيبها أن تختار شيئا وتلزم الاخريات على فعله ، مثلا إن فزت سألزمكما على حفظ حديث ما ، وأنتما ستلزمونني على حفظ سورة من القرآن ، لأني الوحيدة التي ما زالت لم تنجح في ختم الذكر الحكيم ، وبهذا الرهان ستساعداننني على الحفظ ، ما رأيكما ؟

_ **فردوس :** أظن أنه لا مانع لدي ، لأنني الفائزة مائة بالمائة .

_ **ياسمين :** ما هذه الثقة بالنفس يا أميرتي ، الفائز واضح .

_ **ليلى :** إذا نحن متفقات .

_ **ياسمين :** بالطبع .

_ **فردوس** : إذا أنا أقول أن المحاضرة عن الصلاة .

_ **ليلى :** وأنا أقول عن الحجاب .

_ **ياسمين :**أنا لدي موضوعين وأشك في كلاهما الموضوع الأول عن الجنة والنار ، فنظرا لما آلت إليه الأمور أصبح العباد لا يفكرون في ما سيأتي بعد الموت ، وأما الموضوع الثاني أظن أن المحاضرة ستكون عن الزواج .

_ **ليلى :** الزواج ؟

_ **ياسمين :** نعم ، لأن هذا الزمان يقترب من أن يكون فيه الزنى أكثر من الزواج ، وخوفا من أن نجد أبناء غير شرعيين أو علاقات محرمة تحت اسم صديقتي أو صديقي ، أظن أن الإمام سيتحدث عنها ، فهو على علم أن من هذا يأتي الفساد ، خاصة وأن في المدارس تكون الفتاة في نفس القسم مع الفتى وهنا يظهر ما هو تحت تسمية المصاحبة ، وهذا شيء خطير أكثر مما يظنون ، فكل بداية لا ترضي الله نهايتها لن ترضينا أبدا ، كل هذا العلاقات ليست إلا بوابة للفسق والحرام ، لذلك يجب علينا التنبيه لها ، ولن يجد الإمام فرصة أفضل من هذه ، حيث تكون النساء حاضرات والرجال كذلك ، وبهذا أيضا ستنبه كل أم ابنتها وكل أب ابنه

من أن يقع هذا .

_ **فردوس :** تفكير دقيق وعميق ، ما شاء الله ، لكن رغم ذلك لا تفرحي كثيرا ، فالفوز لن يكون من نصيبك اليوم .

لم تكن **فردوس** على علم بأن أخوها هو من سيكون الإمام هذه المرة ، فمنذ مدة لم تره يصلي بالناس ، وهو أيضا لم يخبر أحدا ، فمع ما حدث لأخيه نسي الأمر ونسي أن يخبر عائلته ، حتى أن **ياسين** عندما أحس بالقليل من الشفاء خرج ليصلي الظهر في نفس المسجد ، ورافقه **صالح** بعد أن طلب منه **يحيى** البقاء خوفا على أخيه .

في المسجد

بعد أن صلى **يحيى** بالجميع صعد إلى المنبر ليلقي كلمته :

_ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بسم الله الرحمن الرحيم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ، فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى ، عباد الله ، قال رب العباد في محكم تنزيله وهو

أصدق القائلين :

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)

النور

لا نلتقي إلا مع من نعلم ، يعني بأخلاقنا وأعمالنا نحدد أزواجنا ، بأخلاقنا نحدد أقرباءنا ، لن تر الخبيث مع الطيبة ولن تر الطيب مع الخبيثة أبدا ، عباد الله ، انظروا إلى محيطكم وشاهدوا أقرباءكم هل محيطك به خبيث أم طيب ؟ هل محيطكِ أختي بها طيبة أم خبيثة ، فرضا كانت أو كان أنا لا أقول اقتلوهم بل أقول كونوا سببا في صلاحهم ، لقد قال خير البرية لأحد الصحابة لُأن يهدي بك الله أحدا خير مما طلعت عليه الشمس ، يعني إن فضل أن تكون سببا في هداية شخص أو صلاحه لهو فضل كبير وفيه أجر عظيم كلنا خطاؤون وخير الخطائين التوابون ، ألا نحب أن تكون لنا زوجة صالحة ، ألا تحبين أن يكون لك زوجا صالحا ، إن الدعوة التي تأتي من القلب دائما ما تأتي بثمارها ، لكن

لدي ملاحظة من مكان آخر ، دائما ما نقول في سجودنا اللهم ارزقني زوجة صالحة أو زوجا صالحا ، أليس كذلك ، لكن هل سألنا أنفسنا يوما ؛ هل نحن صالحين بما يكفي لنكون أزواجا صالحين ، الآية تقول الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، فهل نحن صالحين لتكون لنا زوجة صالحة أو زوجا صالح ، ما أريد قوله هو يجب أولا أن نصلح حالنا قبل أن ننظر إلى عيوب الآخرين ، هذا لا دخل له بالأنانية وحب الذات كلا ، بل لأن صلاح الآخر يكمن في صلاحك أولا ، أصلح نفسك لتكون مصلحا أعلم أن البعض يعلم هذا ، وإنما أنا هنا في هذا المكان فقط لأذكركم فأنتم تعلمون كل هذا لكننا ننسى ، هذه فطرتنا التي فطرنا الله عليها ، النسيان ، ظاهره قبيح لكنه نعمة عظمى ولو بقيت حياتك كلها تعبد الله لما وفيت حق هذه النعمة ، اذا قولي لكم انظروا إلى أنفسكم قبل الآخرين ، أصلحوا حالكم قبل الآخرين ، عاتبوا أنفسكم قبل الآخرين *عودوا الى الله قبل أن يأتي أحدكم الموت* ، توبوا إلى الله توبة نصوحة قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم .

نزل من المنبر وصافح بعض الرجال ثم توجه إلى الخارج إلى رفاقه ، وجدهم ينتظرونه بجانب الباب ، أقبل إليه **لوط :**

_ مرحبا بإمامنا وشيخنا ، بارك الله فيك ، وزادك من فضله

_ **صالح :** كل مرة تظهر لنا بأنك جدير بهذا المقام ، ما شاء الله عليك شيخنا .

_ **معاذ :** إذا ما عملنا الآن ؟

_ **يحيى :** أولا بارك الله فيكم وجعلكم من الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ثانيا لنذهب للمنزل ، بمناسبة صعودي الأول إلى المبر سأقيم لكم خاصة وليمة بإذن الله .

_ **يونس :** سبحان الله وجدتني أبحث عن مكان آكل فيه شيئا

_ **يحيى :** (*بابتسامة*) لو لم تقل هذا لاندهشت .

وبينما هم يضحكون رأى **يحيى** أخته قادمة فاستأذن من رفاقه قليلا واتجه مباشرة إليها :

_ **فردوس :** السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أخي الكريم ، (*بابتسامة ووقار*) أعتذر أريد أن أقول السلام عليكم إمامنا

_ **يحيى :** كفاك مزاحا أختي ، بالمناسبة أعتذر أختي لم أخبركم أنه كان لدي محاضرة ، فكما تعلمين ما حدث **لياسين** جعلنا ننسى أنفسنا .

_ **فردوس :** لا عليك أخي ، رغم أن فعلك هذا جعلني

أخسر رهان مع صديقاتي .

_ **يحيى** : رهان !!

_ **فردوس :** ليس بمعناه العام ، بل هو عذر فقط كي ننجز بعض الأعمال من حفظ للحديث أو القرآن .

_ **يحيى :** حسنا لابأس في هذا ، ومن الفائزة ؟ ~ *عادة لم يكن* ***يحيى*** *يهتم بمثل هذه الأمور لكنه يعلم أن الا هتمام بأصغر التفاصيل هو الذي يجلب المحبة والمودة بين الأشخاص ، لهذا كان حريصا على الا هتمام بأخته كثيرا نظرا لكونها الفتاة الوحيدة الصغيرة في العائلة* ~

_ **فردوس :** بفضلك أخي خسرت الرهان وفازت **ياسمين** ، وها هي هناك مع **سلمى وآية ومريم** ينتظرنني لأسمع الرهان مرة أخرى .

ما إن سمع اسمها مرة أخرى حتى توتر ، وقد بدا جليا فلاحظت **فردوس** ذلك ، لكنها لم ترد أن تظهر أنها شعرت بتوتره .

_ **يحيى :** كيف لها أن تعلم عن ماذا سأتحدث بينما أنت أختي ولم تعلمي ؟

_ **فردوس :** (*بابتسامة ماكرة*) أظن أن هذا السؤال موجه

لك ، هل أخبرتها عن المحاضرة من قبل ؟

_ **يحيى :** لا حول ولا قوة إلا بالله ، من أين لك بهذه الأفكار المهم هل هي بخير ، فقد رأيتها يوم الحادثة أيضا مثلك خائفة ، ومن قبل كانت مهمومة .

_ **فردوس :** الحمد لله على كل حال ، فهي الآن أفضل من ذي قبل أعانكم الله أخي سأذهب خوفا من مضاعفة عقوبتي .

_ **يحيى :** استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه صغيرتي .

عاد **يحيى** إلى رفاقه ورافقهم إلى المنزل ، وباتوا في الطريق يتحدثون بينهم ويتمازحون .

وفي الجانب الآخر وصلت **فردوس *إلى*** صديقاتها ، فاستقبلتها **ياسمين** متسائلة :

_ هل كان أخوك هو الإمام ؟

_ **فردوس :** نعم .

_ **ياسمين :** نفس الشخص الذي جلست معه يوم الحادثة ؟

_ **فردوس : بالضبط .**

_ **ياسمين :** تبارك الله ، رغم صغره لكنه ذو لغة سليمة وعلم بليغ ، ولسان طليق ، وقبول جميل ، لا أزكيه على الله لكنه جدير بمقامه ذاك .

اقتربت **ليلى** من **فردوس** قائلة بهمس ؟

_ **ليلى :** هذه المرة الثانية التي أراها مهوسة بهذا الفتى ، ففي المقهى أيضا رأيت نظراتها إليه وكانت خائفة من أن يقع له مكروه ، وهذا من قبل أن تعرف أنه أخوك .

_ **فردوس :** وكذلك **يحيى** عندما ذهبت رأيت توتره عندما ذكرت اسمها ، حتى أنه لم يكتف وسألني عن حالها .

_ **ليلى : خيرا إن شاء الله .**

_ **فردوس :** بالنسب لي أراهما مناسبين لبعضهما .

_ **ليلى :** أتفق معك .

_ **ياسمين :** بماذا تتهامسن يا أميرات ، **سلمى** ما رأيك أن نضاعف لهما العقوبة ؟

_ **سلمى :** هذا اقتراح رائع .

_ **ليلى :** كنا نتحدث عنك ، لقد نسيت نفسك وأنت تتحدثين عن الشيخ فراشتي ، هل هناك شيئا تريدين أن تخبرينا به ؟

_ **ياسمين :** (*والتوتر بدا واضحا في ملامحها*) ماذا تعنين أميرتي ، لا يوجد شيء ، اسألي أخته أليس كذلك صغيرتي **فردوس** ؟

_ **فردوس :** ربما نعم .

واتبعتها بابتسامة **لياسمين** وغمزة ل **ليلى** ، فقد تأكدت ظنونها بعد أن رأت توترها أيضا وحتى أنها قالت لها صغيرتي كما يقول **يحيى** ، لم تستحمل **سلمى ومريم** السكوت بعد أن لاحظتا احمرار وجنتي **ياسمين** فبدأتا بالضحك وشاركت الأخريات الضحك بهستيرية .

بقيت ياسمين في الوسط وقد بلغ فيها الخجل مبلغه ، ولم تستحمل هي أيضا فشاركتهن الضحك بكل قطعة من جسدها

☆☆

جلس **يحيى** في غرفته وحيدا بعد أن غادر رفاقه المنزل وبات يفكر في أمر واحد وهو **ياسمين** ، كان يفكر فيها بكل جوارحه ، لا يدري كيف وصل به الحال إلى هنا هل بسبب ما سمعه عنها من أمه أم بسبب ما أخبرته عنها أخته فكلتاهما قالتا عنها كلاما يُذهب العقول ويُذيب الفؤاد ، ذات يوم أخبرته **فردوس** أنهما يتشابهان في كثير من الأمور .

بعد وهلة من الشرود بدأ يتذكر أوصافها التي أضحت خالدة في دهنه ، عينان لا يعرف حقيقة لونهما ، في حين يكون لونهما أسودا قاتما ، وفي حين آخر شبه خضراء ،

وفي حين آخر بُنِّيتا اللون ، عندما نظر لعينيها في المقهى كأنه ينظر إلى بحر لجي ، كأنه ينظر إلى عمق البحار لن تدري ما تخفيه وراءهما ، وقد أصبح لغز حياته الذي عزم على أن يفني عمره كي يكتشفه ، أما عن وجهها فكان شبه دائريا على ما يظن ، فجماله كان صدا له كي يكتشف حقيقة شكل وجهها وعندما نتحدث عن ابتسامتها فالكلمات وحدها تعجز عن وصف مدى روعتها بل في وصف جمالها ، حتى لو كنت في موقف يستحيل الابتسام فيه ما إن ترى ابتسامتها حتى تنسى ما كان بك ولن تبالي ؛ بدأ يحدث نفسه قائلا :

_ أتدري يا **يحيى** ، لو كانت بين آلاف الفتيات سأميزها عنهن ، فهي لها جاذبيتها الخاصة وهالة لم يُرى مثليهما من قبل قط ، ملامحها تجعلك توقرها ، بل تحبها كذلك ، وأظن أن هذا ما حدث معي ، لو بقيت أصفها لك فمحال أن تنتهي اليوم ، ولو كتبت مجلدا خاصا بأوصافها لما كفاك .

بعد أن انتهى من أوهامه غادر الغرفة متجها إلى الطبخ طلبا النصيحة من أخته ، وبينما هو في الرواق إذ به يمر أمام غرفة والديه فسمع بعض حديثهما بدون قصد :

_ **حفصة :** يا أبا **يحيى** ، لقد بلغنا من الكبر عتيا وما زلنا لم نشهد أحفادنا ، أترضى أن نغادر الدنيا ونحن لم نرى ولو

حفيدا واحدا لنا ؟

_ **يا أم يحيى** إن الأمر بيد الله جل في علاه ، ونحن لا يد لنا في هذا ، فلنصبر لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

_ أعلم هذا يا **أبا يحيى** أعلم ، لكن لماذا لا نحاول فقط الحديث معهم ، فإن رغبوا فذاك مبلغنا ، وإن رفضوا فالله المستعان .

_ لكنك تعلمين يا **حفصة** أن حديثنا معهم كأنه أمر منا ، خاصة لو حدثنا **يحيى** فلن يرفض الأمر قط ، بل سيسارع للزواج ، وهذا ليس لأنه يرغب في الزواج كلا ، بل لأنه دائما يسارع إلى نيل رضانا ، يعني إن أخبرناه بالأمر فسيلبيه بكل طواعية ، وأنا لا أحب أن أرغم أحدا على فعل شيء لا يحبه ، وأعتذر منك كثيرا حبيبتي فأنت تعلمين أن لك مكانة عالية وخاصة في قلبي ، لكن عندما يتعلق الأمر بأن أكون السبب في اتخاذ قرارات مصيرية لا تتعلق بي فأنا لست مستعدا لهذا .

_ أعلم هذا **يا أبا يحيى** ، وأتفهمك جيدا ، لكن أنت أيضا تعلم أن كل ما ترغب به الأم هو أن ترى أحفادها قبل مماتها

_ أعلم صغيرتي أعلم ، لكن كي يتحقق مرادنا ليست هذه هي الطريقة السليمة أبدا ، بل بالتوجه إلى رب العباد سبحانه

وتعالى ، واطلبي ما تشائين فإنه لا يرد يدا رفعت إليه صفرا .

أكمل **يحيى** طريقه إلى المطبخ وقد انقسم إلى نصفين ، أحدهما تكاد الفرحة تقتله إذ أصبح حلمه قريبا من التحقق وهو الزواج من الفتاة التي يحلم بها ليل نهار ، والنصف الآخر بدا مهموما حزينا ، فهو يعلم أن الزواج مسؤولية وميثاق غليظ كما وصفه رب العباد ، فهل هو أهل لهذه المسؤولية ؟ وهل يستطيع أن يحملها ويحافظ عليها ؟ وهل يستطيع الانتباه لزوجته ويجعلها قرة عينه ؟

كل هذه الأفكار تدور في عقله ولا مجيب لها ، حتى وصل إلى أخته التي هي بمثابة نفسه التي يخبرها بكل صغيرة وكبيرة ، يحدثها بكل ما يعتلي قلبه وبكل خطوة يرغب في فعلها :

_ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صغيرتي .

_ وعلينا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أخي الحبيب .

_ ماذا تفعلين أختي ، هل أنت فاضية قليلة .

_ ماذا أفعل ؟؟ أقرأ بعض الكتب في المطبخ ، ما بك أخي هل هذا سؤال أم أنه لغز ؟

_ (*بابتسامة مهمومة*) أرأيت أين وصل بي الحال ؟

_ (*وقد علمت أن اخاها يحتاجها*) حسنا أخي ، أخبرني كيف أساعدك .

أمسك يدها ورافقها إلى غرفته خوفا من أن يسمعه أحدا من أفراد عائلته ، بعد أن دخل الغرفة بدأ الحديث قائلا :

_ منذ مدة يا صغيرتي وأنا أفكر في شخص ولا يغادر عقلي ودهني ، بل أصبحت أحلم به ليلا وأفكر فيه نهارا ، فما المعمول ؟

_ واضح وضوح الشمس ، اذهب لأهلها وأخبرهم برغبتك في الزواج ، فقد أصبحت عجوزا ماذا تنتظر ؟

_ كلا لست بعجوز أختي ، ربما ترين بعض الشيب في رأسي لكنه بسبب التفكير المفرط فقط .

_ التفكير فيها ؟

_ لا لا ليس كذلك ، بل في كل شيء ، يعني ظهر هذا الشيب منذ مدة ليست بالقليلة ، يعني قبل أن أعرفها أصلا ، والسبب الذي جعلني لا أتقدم للزواج هو أن العلم بالنسبة لي أولى من الزواج ، ثانيا لا أرى نفسي ذو مسؤولية ، يعني ربما لن أعطي لها حقها ، وربما أظلمها بدون قصد مني ،

لكن من جهة أخرى أعلم حق اليقين أن والدي يرغبان في رؤية أحفادهما وهذا في أقرب وقت ، لهذا بالضبط أصبحت لا أدري ماذا أفعل .

_ لدي سؤال ربما يجعلك تصل للجواب .

_ حقا ! ما هو ؟

_ ما عمر تلك الفتاة ؟

_ لا أدري ، لكن ربما أنتما في نفس العمر ، أو هي أكبر منك ، أختي أعلم ما ترغبين في إيصاله لي ، يعني إن كانت صغيرة أو كبيرة ؛ لقد درست هذه الحالة في عقلي أكثر من مرة ، لكني أخاف أن أودع والدي قبل أن يشهدا أحفادهما .

_ إذا أنت تعلم الجواب ، أما بالنسبة لوالدي فالأمر بيد الله تعالى يُحْيِي ويميت ، فلا تشغل بالك بهذه الأمور أبدا .

_ جزاك الله خيرا صغيرتي ، الآن اطمأننت ، وإن شاء الله سأنتظر قليلا ، ربما سنة أو سنتين او أكثر .

_ هل هي تدرس أم ماذا ؟

_ لا أعرف عنها شيئا ، رأيتها فقط مرة أو مرتين .

_ وأحببتها في هذه المدة ؟ سبحان من ألف بين قلبيكما .

_ لا أدري حقا كيف حدث الأمر بهذه السرعة ، لكن ماذا عساي أفعل ، يصعب التحكم في حضرة الفؤاد .

_ إذا أخبرني من هي هذه الفتاة المحظوظة التي ستأخذ منا إمامنا وقرة أعيننا .

_ بل قولي أنني أنا المحظوظ ، فهو لشرف لي أن تكون لي زوجة مثلها .

_ حسنا آمنا ، فقط أخبرني من هي ؟

_ مهلا ، انظري أولا ما الموجود جانبك .

وبينما هي كذلك تبحث جانبها إذ فر **يحيى** مخلفا وراءه ضحكات متتالية كأنها ضحكات انتصار ، علمت **فردوس** أنه يهرب من الجواب ويأبى أن يخبرها ، وهذا ما أكد لها أمرا وحيدا حقيقيا :

_ إذا هي فتاة أعرفها ، وتستحي من أن تخبرني بها ، حسنا سأكتشفها بنفسي ...

☆☆☆

وبينما **يحيى** يصارع أفكاره **ياسمين** أيضا تصارع **ليلى :**

_ **ليلى :** أخبريني الآن يا ولهانة ، فلا أحد غيرنا في المنزل

لقد غادر أبي إلى مهمته ، بالأحرى يعني تستطيعين إخباري بما تشائين .

_ **ياسمين :** بماذا سأخبرك ، ليس لدي ما أخبرك به .

_ **ليلى :** هل أتحدث عن حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم حول الكذب أم أنه لا داعي له .

ما إن سمعت **ياسمين** الحديث حتى استسلمت لها وبدأت الحديث :

_ حسنا ، لكن سيبقى الأمر بيننا في هذه الفترة .

_ كوني على يقين أنه كذلك .

_ إذا حديثنا يبدأ ، المهم لقد أحببت شخصا ، أو بالأحرى أحب شخصا ليس كمثله أحد ، لا ازكيه على الله لكنه فعلا شخصا رفيعا ، في البداية كنت فقط أراه يذهب ويعود من وإلى المسجد ، لكن مؤخرا اكتشفت أمرا حوله ، لذلك لم أعد أراقبه كثيرا ، لا أدري كيف وصل بي الأمر إلى هنا وأنت تعلمين جيدا مدى حرصي على هذه الأمور .

_ أجل أجل أعلم جيدا ، يعني السبب في الفتى ، يعني هو أهلا لما وصفته ، لذلك تعلقت به كثيرا .

_ ربما أظن هذا أيضا ، حتى أنني اكتشفت أننا نشترك في

كثير من الأمور ، وهذا ما زاد تعلقي به .

_ لستِ جيدة في كتم المشاعر .

_ لماذا ؟

_ هل الشيء الذي اكتشفته عن الفتى هو كونه أخا لصديقتك و الأمور المشتركة بينكما هي أنه إمام وأنت أيضا تكونين إمامة في غياب الخالة **حفصة** ؟

ظهر التعجب واضحا على ملامح **ياسمين** ، حتى أنها بقيت تنظر إلى رفيقتها مشدوهة .

_ **ليلى :** أين ذهبت أختاه ، لا تندهشي فقد أظهرت الأمر بنفسك .

_ كيف ذلك ؟

_ أتتذكرين عندما كنا في المقهى فأتى **يحيى** ، آنذاك قلت له انتبه على نفسك ، واليوم أيضا بعد صلاة الظهر قلت عنه كلاما نتعجب منك على ما قلته ، وختمت الأمر بقولك *"لا أزكيه على الله"* والآن أيضا بعد حديثك عنه قلت لا أزكيه على الله .

وقفت **ياسمين** من فرط دهشتها ، فلم تكن تتوقع أن يصل بها الأمر إلى هذا ، إلى أن تكون سهلة القراءة ، سهلة التفسير

عادت للجلوس مُقْبلَةً إلى رفيقتها متسائلة :

_ هل أنت **ليلى** أم مفتشة ؟ لقد صدق من قال : هذا الشبل من ذاك الأسد . وأنا أقول : هذه المفتشة من ذاك المحقق .

_ كل من كان مكاني كان سيكتشف الأمر بسهولة ، أو هذا ما أظن .

_ كوني على يقين أن هذه صفاتك أنت ، ولو كان هناك شخصا أخر لما استطاع اكتشاف الأمر ، اذا لما أصبحت تعلمين سري احفظيه عني ، فقط في هذه الفترة ، وإن شاء الله سأحدث **فردوس** أيضا عن الأمر ، فإن لم يأتي ليخطبني أنا من سيذهب إلى أهله كي أخطبه وبهذا ستشهد البشرية مرة أخرى حدثا كما وقع قديما ، لما كانت أمنا خديجة رضي الله عنها هي المتقدمة إلى الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه .

النهاية

بعد مرور أربع سنوات

مرت أربع سنوات كومضة ، أصبح فيها **يحيى** إماما للمسجد الوجود قرب منزله ، **ياسين** إماما لمسجد آخر يوجد قرب بناية **أنس** ، فقد أصبح أيضا ذا علم وذا فقه ، في تلك السنوات الخالية حفظ فيها القرآن وتعمق في الأحاديث ، وكان معلمه الوحيد في ذلك أخوه **يحيى** ، فكان له نِعم الأخ ونِعم الأستاذ .

وفي الجانب الآخر وصلت الفتيات إلى هدفهن فقد حفظن الذكر الحكيم عن ظهر قلب ، وكل واحدة أصبحت أخت للأخرى ، فأصبحت العلاقة بين **فردوس وياسمين** وطيدة جدا ، خاصة بعد أن أخبرتها هذه الاخيرة عن حبها لأخيها ، فلم تستطع السكوت أكثر من ذلك ، لكن في داخل **فردوس** كانت فيه خائفة جدا ، فهي ما زالت لا تدري من التي سرقت قلب أخيها ، فمنذ ذلك الحديث الذي دار بينهما لم يحدثها عن الأمر مرة أخرى رغم فرصها المتعددة ، وفي كل مرة تتأكد من أنها تعرف الفتاة ، ولما أخبرتها **ياسمين** بما يجول في قلبها تمنت من كل قلبها أن تكون هي التي تعلق بها **يحيى** .

ومن جهة أخرى وفقهن الله وارتدين الحجاب كما وصفه الله تعالى في كتابه الكريم ، حتى أنهن رغبن في ارداء النقاب خوفا على أنفسهن من تربص الشياطين من الإنس ، وبهذا تمكنت **فردوس** من تحقيق حلمها بعد الإجازة ، وأصبحن متفقهات في الدين ، كما أصبحت كل واحدة منهن مرشدة في مسجد معين ، **فردوس وياسمين** في نفس مسجد **يحيى ولیلى** في نفس مسجد **ياسين** ، بينما **سلمى وأحلام وسندس** في مسجد آخر مسجد **يونس** وكانت **سلمى** هي الأكثر علما ورجاحة عقل فكانت المسؤولة عن أمور المسجد بما فيه من زينة وغيرها وقبل سنة تعرفت على **يونس** من بعيد فكان إمام ذاك المسجد ، وبعد أن استشار صديقه ورفيق دربه **يحيى** طلب يدها للزواج ، فوفقهما الله وتزوجا ، فأصبح كلاهما إماما لنفس المسجد .

في أحد أيام الشتاء ، بالضبط في يوم الجمعة غادر **يحيى** المنزل متوجها إلى المسجد ، فقد حضر جميع رفاقه كما يفعلون دائما ، فطالما أحبوا سماع الخطبة منه ، وبعد مدة قليلة صعد إلى المنبر ليبدأ خطبته :

_ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بسم الله الرحمن

الرحيم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ، فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ، عباد الله ، خطبتنا اليوم إن شاء الله ستكون حول حدث شريف مر في زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو رسالة خاصة إلى كل مسلمة مؤمنة ، إلى كل من تظن أن الرجل أفضل منها انطلاقا من قوله تعالى " *الرجال قوامون على النساء* " هذا حديثي لك أختي الكريمة ، وأمي الحبيبة وخالتي العزيزة : حديثنا عن **أسماء بنت يزيد الأنصاري .**

اشتهرت أسماء بفصاحتها وسميت بـ «خطيبة النساء».
يروي المؤرخ ابن الأثير في كتابه " أسد الغابة " أتت أسماء النبي ﷺ وهو بين أصحابه قالت : بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معشر الرجال فُضِّلتم علينا بالجُمَعِ والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك

الجهاد في سبيل الله ، وإن الرجل إذا خرج حاجًا أو معتمرًا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفما نشارككم في هذا الأجر والخير ؟

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه

فقالوا : يا رسول الله ، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا.

فالتفت النبي ﷺ إليها فقال : انصرفي يا أسماء، وأعلِمي مَن وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها (أي حسن المصحابة في الحياة الزوجية) ، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته ، يعدل كل ما ذكرتِ للرجال.

فانصرفت المرأة وهي تهلل وتقول وتردد : «يعدل كل ما ذكرت، يعدل كل ما ذكرت للرجال!».

أرأيت يا أختاه ، يعدل كل ذلك ما ذكرت للرجال من حج وعمرة وزيارة المريض والجهاد في سبيل الله ، واعلمي أن لك مكانة كبيرة جدا فأحسني استغلالها ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب للعالمين .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونؤمن به ولا نكفره ونعادي من يكفره أما بعد ، فهذه الخطبة ليست إلا تتمة لما

ذكرناه آنفا ، من تلاوة للآية الكريمة : الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، يعني من كانت لزوجها نِعم الزوجة فلتكن على يقين أن زوجها سيكون نِعم الزوج ويزيد ، عودوا إلى الله يا عباد الله ولو أذنبتم عودوا ، توبو إلى الله جميعا أيه المسلمون لعلكم ترحمون ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أنهى الإمام خطبته ونزل إلى الملأ مسلما عليهم ، فقد كان المسجد كعادته ممتلئا بالمصلين ، وكذلك بالنسبة للنساء .

اعتذرت **فردوس** من صديقاتها وأخبرتهن أن لديها موضوعا مهما مع أخاها ، ولن تستطيع المكوث أكثر من هذا ، ثم توجهت مباشرة إلى أخيها الذي كان يقف مع رفاقه :

_**ليلى :** يا **يحيى** ، **يا يحيى** ، هل لديك القليل من الوقت .

_ تفضلي أختي ما الأمر ؟

_ (*وهي تلتفت يمنة ويسرة*) ليس هنا أخي ، هَلَّا نذهب للمنزل !

_ حسنا انتظري قليلا ، سأخبر رفاقي ثم أعود .

وبعد فترة قصيرة عاد إليها مهرولا :

_ حسنا أختي هيا بنا ، هل أنت بخير ؟

_ نعم أخي ، فقط لدي ما أقوله لك .

بعد أن وصلا إلى المنزل وبالضبط إلى غرفة **فردوس** ، بادرت الحديث قائلة :

_ أولا أعتذر منك فما أريد الحديث معك عنه حدث منذ مدة وما زال يحدث ، لكني لم أخبرك به ظنا مني أنه شيء لا يستدعي أن أخبرك به .

_ لا بأس صغيرتي ، يكفي أن تكوني بخير .

_ المهم ، منذ مدة طويلة ، ربما قبل عام على أبعد تقدير ، كل يوم أرى شخص يراقبني ، يعني عندما أذهب إلى المسجد وأثناء عودتي ، لكن عند عودتي يتأخر قليلا في مراقبتي ، مثلا عندما أذهب للمسجد يراقبني منذ خروجي من المنزل ، لكنه عند خروجي من المسجد لا يراقبني إلا عندما أقترب من دخول المنزل .

_ هل هذا هو الأمر الذي لم يستدعي إخباري به **!!!**

_ ليس بذلك المعنى ، بل قصدت أنه لم يقترب مني قط ، بل بدا كأنه يحميني من وراء حجاب ، لم أر وجهه قط ، لكني دائما أشعر بوجوده في مكاني ، كأنه يخشى علي ويخاف من أن يُصيبني أذى ، بل إنه ذات مرة وبينما كنت عائدة من

منزل **ليلى** رأيت مجموعة من الكلاب أمامي ، بدأت أبحث عن طريق آخر أو ملجأ لكني وجدت الكلاب قد هربت لمجرد رؤيتها لذلك الغريب ، في تلك اللحظة توجهت إليه كي أشكره لكنه لم ينتظر وغادر المكان ، وبعد أن أكملت طريقي شعرت بعودته لكنه لم يحاول ولو لمرة أن يتعرض لي أو يقف في طريقي ، بل أصبح مصدر أمان لي أثناء ذهابي إلى منزل صديقتي .

_ لكن رغم كل هذا لا يسمح له أن يراقبك ، فإن كانت له غاية فهو حتما يعرف منزلنا .

_ وهذا هو السبب الذي جعلني أخبرك بالأمر ، أريد منك أن تراقبني بعد خروجي لصلاة العصر ، وحتما سيكون حاضرا لحمايتي ، يكفي أن لا يراك .

_ لحمايتك ! لقد أعجبك الأمر فعلا .

_ (*بابتسامة خجولة*) إنها الحقيقة يا إمام ، فأين لي أن أجد شخصا يأخذ جل وقته كي يراقبني ويحميني ؟

_ حسنا سأجده وسأخبره كي يأتي ليخطبك ، أظن أنك تريدين مغادرة آل ياسين .

_ لا لا أبدا أخي .

_ أمزح معك صغيرتي ، لا تخافي لن نقدمك لأي شخص ، فأنت ثمينة جدا وغالية .

بعد أن أنهى **يحيى** حديثه أمر أخته بالخروج أولا كي يراقبها من بعيد ، وبذلك سيستطيع أن يعرف من كان يراقب أخته في كل مرة .

بعد مرور القليل من الوقت لاحظ **يحيى** الشخص المراقب لأخته ، فبدأ باتباعه دون أن يلفت الأنظار ، وانتظر حتى دخلت أخته للمسجد ليقترب من الغريب بحذر ، لما وصل مكان الغريب وقف خلفه وأمسكه من كتفه قائلا :

_ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا فتى .

بسبب أن الفتى كان يرتدي قبعة لم يتعرف عليه **يحيى** ، لكن هذا الفتى لما سمع صوت **يحيى** انتفض من مكانه ، فقد حدث ما كان يخشى حدوثه منذ البداية .

_ **يحيى :** هل لك أن تلتف أخي وتخبرني بهمك ؟

ما إن التفت الفتى حتى دُهش **يحيى** مما يراه ، فهذا شيء لم يكن يتوقع حدوثه قط ، أعاد يده إلى مكانها قائلا باستغراب :

_ **يحيى : لوط !!!**

_ **لوط :** (*وهو يتجنب النظر إلى عيني* ***يحيى***) : وعليكم

السلام ورحمة الله وبركاته أخي .

لم يعد **يحيى** يدري ما يقول وما يفعل ، وقف ساكنا مكانه كأنه تمثال يبحث عن جواب سؤال لم يسمعه ، أراد **لوط** أن يفسر الأمر لصديقه ، فهو منذ أن رأى **فردوس** لم تغب عن باله قط ، خاصة وأن أخته تحدثه عنها كل مرة تحضر فيها دروسها ، أراد أن يفتتح الأمر مع **يحيى** لكنه في كل مرة ينهزم أمام حيائه ، كل مرة تضعف إمكانياته أمام خجله ، فلم يجد إلا أن يحبها من بعيد ، ولما حدث ما حدث **لياسمين وليلى** في المقهى خاف من أن يحدث **لفردوس** نفس الشيء لذلك بدأ يراقبها ، يعلم جيدا أن ما يفعله غير صالح له ولها لكنه لن يسامح نفسه أبدا إن حدث لها مكروه أو إن أُصيبت بأذى ، والآن ها هو أمام الواقع ، أمام **يحيى** ، رغم معرفته أن رفيقه لن يظن به سوء ، إلا أنه كان لزاما عليه أن يفسر الأمر له :

_ **لوط :** قبل أن تقول شيئا يا أخي أريد أن أوضح الأمر مسبقا ؛ أولا ، مراقبتي لها لم تكن بنية السوء أبدا وأنت تعلم هذا ، وإنما كانت خوفا عليها من أن تتعرض لأذى كما حدث مع صديقتيها ، وربما السؤال الذي يطرح نفسه بنفسه من أمرني بمراقبتها ولماذا أصلا أراقبها ، وجواب هذا

السؤال هو كالتالي : منذ أن رأيتها وهي لم تغب عن تفكيري أبدا ، حاولت مرارا وتكرارا أن اتجاهل قلبي لكني في كل مرة أفشل ، في كل مرة أحسم فيه القرار بالهجر تنهزم نفسي أمام الأفكار والتفكير المستمر فيها ،حتى أنها أصبحت تأتيني في الأحلام ، لا أعلم السبب لكن هذه هي الحقيقة ، لا أعرف كيف سأنساها ولم أجد الحل .

_ **يحيى :** لدي الحل .

تعجب **لوط** من تصرف صديقه ، فهو كان ينتظر منه أن يستفسر أكثر ، وهنا تدخلت نفسيته المتشائمة قائلة بأن الحل هو الترك بما تحمله الكلمة :

_ **لوط :** ما هو الحل ؟

_ **يحيى :** متى ستأتي لتراك ، لأنك تعرفها لكنها لا تعرفك .

اندهش **لوط** مما سمعه ، رغم معرفته أن **يحيى** لن يخاصمه إلا أنه لم يكن ينتظر هذا الحل ، في أعماق نفسه هذا ما كان يريده دائما ، والآن قد تحقق المراد :

_ **لوط :** أحقا ما تقوله أخي ؟

_ **يحيى :** نعم يا رفيقي ، وكيف لي أن أجد شخصا يخشى على قرة عيني كما تفعل أنت ، وفي المقابل إن قبلت أختي

لن أسمح لك أن تكون السبب في حزنها أبدا فكن على يقين

_ **لوط :** إن كان قد كتِب لنا أن نجتمع ، فكن على يقين أنني سأحفظها وأحافظ عليها كأنها عيني .

_ **يحيى :** وإن شاء الله أيضا لدي مفاجأة لكم أيضا ، انتظر فقط أن تتحقق .

أكمل **يحيى** طريقه إلى المسجد مع **لوط** كي يؤديا صلاتهما

بعد أن صلى الجميع جلسوا مستمعين إلى موعظة صغيرة يلقيها عليهم **يحيى :**

_ السلام عليكم ورحمة الله ، باسم الله الرحمن الرحيم ، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ، فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ، عباد الله نحن في زمن الفتن ، في زمن كثر فيه النفاق ، كثر فيه الخداع ، كثرت فيه المعاصي والمنكرات ، نحن في زمان يأكل فيه القوي الضعيف ، ويتعدى الأخ على حقوق إخوته ، ويتجاوز فيه الآخرون حدود الله ، نحن في زمان نرى فيه من أحل ما حرمه الله ، وحرم ما أحله الله ، فمنهم من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر

ببعض ، من الفتيان من تراهم يصلون ويصومون لكنهم يتلفظون بكلام تنفطر له الأفئدة ، تسمع الصبيان يتحدثون فيما بينهم بكلام أحق ما يقال عنه بئس الكلام ، منهم من يتخذ صاحبات ، وتراه اليوم مع هذه وغدا مع أخرى ، تارة يسلم مع هذه وتارة أخرى مع تلك ، أين احترام المحارم ؟؟ أين اتباع سنة الحبيب المصطفى ، أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ وفي الجانب الآخر تجد بنات المسلمين يتخذن أخذان ، تجدها تصاحب هذا وتصاحب ذاك ، تسلم مع هذا ومع ذاك ، أين العفة والحياء !! ومنهن من يرتدين لباسا فيدعين أنه حجاب ، أين الستر أين الخجل ، أين التربية أين الأخلاق ، في كل مرة أسأل نفسي كيف وصلنا إلى هنا لا أجد جوابا سوى أن السبب الوحيد الذي أدى بنا للوصول إلى هنا هو ""***اختلط الرجال بالنساء***"" فضاعت الفضيلة ، وانتشرت الرذيلة ، أنتم اليوم مسؤولين عما يحدث لأبنائكم ، علموهم دينكم ، علموهم الأخلاق ، فأصل للتربية تأتي من الآباء أولا ، كونوا لهم قدوة حسنة ، ذكروهم بالله ، اجعلوا منهم خير الأبناء ، اجعلوهم من الاخيار ، وتذكروا معي فإن الذكرى تنفع المؤمنين : *وقفوهم إنهم مسؤولون* " عودوا إلى الله جميعا أيه المسلمون لعلكم ترحمون ، وآخر

دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكعادته أنهى موعظته وخرج إلى الخارج كي يكمل حديثه مع رفاقه ، وكان بينه وبين **لوط** سر لا يعرفه إلا كليهما ، كل ينظر للآخر نظرات امتنان وشكر تعبر عن فرحة كل واحد منهما ، وفي الجانب الآخر خرجت الفتيات لينهين حديثهن كذلك ، وبين **ليلى وياسمين** سر لا يعرفه إلا سواهما ، وكل واحد تنظر للأخرى بنظرات لها معناها .

ومن بعيد ، هناك شخص يراقب **ياسمين** ، يراقب كل حركة لها ، كل ما تقوم به وكل مكان تذهب إليه ، لم يمنعه خمارها من أن يميزها عن الاخريات ، رغم أن كل واحدة منهن تردي نقابا تخبئ وجهها خلفه إلا أن المراقب يحفظ **ياسمين** عن ظهر قلب ، بدأ بمراقبتها قبل سنة من الآن ، في كل مرة يريد أن يظهر إليها يتفكر في ردة فعلها فيأبى الظهور ، وفي كل مرة يخشى أن يكون السبب في حزنها مرة أخرى كما فعل من قبل ، لذلك اكتفى بالنظر إليها فقط من بعيد ، رغم أن الأمر صعب جدا ، لكنه تحمل ، فمن سيتحمل هذا سواه ، وكي لا يعرفه أحد حاول ارتداء لباسا أسودا قاتما ، يخفي كل ما قد يظهر منه ، من أخمص قدميه إلى رأسه .

وفي أحد الأيام ، وبينما هو كذلك ، يراقب **ياسمين** عن

كثب ، لم ينتبه لموقعه ، فقد اقترب أكثر من اللازم ، ولم يكن يفصله عن **ياسمين** سوى بضع مسافات ، وكنتيجة لتصرفه هذا رأته **سلمى** ، فبعد أن انتهى حديثها مع **ياسمين** غادرت المكان ، وبينما هي في طريقها إلى بيتها لاحظت الغريب ينظر إلى **ياسمين** ولا يبعد عيناه عنها ، أرادت الاقتراب منه لكنها خافت ، لذلك قررت أن تذهب مباشرة إلى صديقتها **فردوس** كي تستشيرها ، لأنها كانت خائفة من إخبار **ياسمين** فيخيفها الأمر ، غيرت وجهتها مباشرة واتجهت إلى بيت آل ياسين :

_ **سلمى :** (*بعد أن فتحت* ***حفصة*** *الباب*) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته خالتي .

_ **حفصة :** وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته بنيتي .

_ **سلمى :** هل **فردوس** موجودة في المنزل .

_ **حفصة :** نعم هي موجودة ، انتظري قليلا .

وبعد مدة قصيرة خرجت **فردوس** لتستقبل صديقتها ، رافقتها إلى الغرفة بعد أن أخبرتها **سلمى** أن لديها موضوع مهم .

_ **فردوس :** ما الأمر أختي ؟

_ **سلمى :** كنت جالسة مع **ياسمين** والبقية نتحدث قليلا ،

وبعد أن اتصل **يونس** طلبا مني العودة لغرض منا غادرت المكان ، وفي طريقي لاحظت أمرا مفزعا ، لقد وجدت شخصا ذو لباس أسود يراقبنا عن كثب ، أو بالأحرى يراقب **ياسمين** ، لأنه كان ينظر إلى مقعدها بالأخص ، أردت الاقتراب منه لكني خشيت على نفسي ، وبعد أن شاورت نفسي رغبت في الحديث عن الأمر مع **ياسمين** لكني خفت من أن يفزعها الأمر لذلك أتيت لاستشارتك .

_ **فردوس :** خيرا فعلت بمجيئك إلي أختي ، أشكرك جزيل الشكر ، وكوني مطمئنة سأهتم بهذا الأمر وأوافيك بالنتيجة في نهاية اليوم بإذن الله تعالى .

بعد أن أنهت **سلمى** حديثها غادرت المكان لتلتحق بزوجها ، وكذلك فعلت **فردوس** فذهبت مباشرة إلى أخيها **يحيى** كي تطلب منه أن يهتم بالأمر شخصيا :

_ **فردوس :** السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أخي العزيز

_ **يحيى :** وعلينا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته صغيرتي ، هل لك عندي حاجة ؟

_ **فردوس :** وهل آتي إليك فقط عندما تكون لي عندك حاجة لي **!؟**

_ **يحيى :** لا تبالي لكلامي فأنا في بعض الأحيان لا أستطيع قول ما أريد قوله فعلا .

_ **فردوس :** المهم لابأس ، رغم أنني أتيك إليك ولي عندك حاجة ، لكن هذا لا يعني أنني آتي أثناء الحاجة فقط .

_ **يحيى :** (*وهو يبتسم*) أعلم هذا أختي ، إذا ما حاجتك ؟

_ **فردوس :** لقد أخبرتني **سلمى** بأن **ياسمين** مراقبة من طرف شخص غريب ، وأطلب منك أن ترى من هو .

_ **يحيى :** حسنا أختي سأفعل ، إذا أستودعك الله سأذهب لأرى في الحال .

غادر الغرفة بسرعة كي لا تكتشف أخته ما به ، فقد أصبحت نبضات قلبه تتسارع كأنها تطلب الفرار ، بل إنه ظن أن وجهه بدا محمرا من شدة ما يشعر به ، فقد أخبرته نفسه المتشائمة بأن الأمر سيكون كما حدث مع أخته ، أي أن المراقب لها شخص يحبها عن بعد ، ويفعل فعلته كي يحميها أو شيء من هذا القبيل ، تماما كما فعل **لوط** مع **فردوس** ، هذه الأفكار هي التي جعلته يغادر الغرفة مسرعا وهو مضطرب ، لا يدري كيف يهدئ هذه الأفكار السامة بالنسبة له ، فهذا هو الشيء الذي لطالما خشي وقوعه ، وبينما هو كذلك يصارع أفكاره ، حدّث نفسه عازما :

_ يا **يحيى** لو لم يكن الأمر كذلك ، لو لم يكن المراقب محبا لها فلزاما عليك أن تسرع في طلب يدها قبل أن تذهب لغيرك وأنت تنظر بلا حيلة ، إذا عار عليك إن لم تفعل ، لا تفكر في النتائج واطلب من الله أن لا يكون المراقب حبيبا .

اتجه مباشرة إلى مكان تواجد **ياسمين** ، وبدأ يبحث في الأنحاء بحثا عنه ، وقبل عدة محاولات لفت شخص انتباهه فملابسه كانت تظهر اختبائه ، أي أن المرتدي لتلك الملابس غالبا ما تكون غايته هي الاختباء ، اقترب منه بحذر ، ولما وصل إليه أمسكه من كتفه كما فعل مع **لوط** قائلا :

_ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أخي .

ولما علم المراقب أن أمره قد كشف التفت إلى **يحيى** ، لكن ما إن رآه حتى اندهش وقال :

_ إمامنا **يحيى !!** ماذا تفعل هنا ؟

_ **يحيى :** عماه ! بل ماذا تفعل أنت هنا ؟

_ أنا كما ترى ، أقف قبالتك ، فكما تعلم أن اليوم يوم عطلتي ، وليس لدي عمل لأقوم به .

_ **يحيى** : أعلم يا عماه ، لكني لاحظت كأنك تراقب شيئا ما أو هذا ما أعتقد .

وهو يلتفت إلى مكان تواجد **ياسمين** عن غفلة :

_ لا ، لا أراقب أي أحد .

_ **يحيى :** أُصدقني القول عماه ، من أين تعرفها ؟ وما السبب الذي جعلك تراقبها هكذا ؟

_ **ليوناردو :** إنها ابنتي يا **إمام** .

سمع **يحيى** شيئا لم يكن يتوقعه ، فلطالما أعتقد أن والدها قد توفي ، حيت أنها لم تكن تتحدث عنه أبدا كما أخبرته أخته ، قال له وقد بدت الدهشة واضحة على محياه :

_ **يحيى :** والدها **!!** أحقا أنت والدها ؟

_ **ليوناردو :** أعلم أن الأمر يبدو جنونيا ، لكنه الحقيقة يا ولدي ، منذ مدة طويلة وأنا أراقبها هكذا من بعيد ، لم أستطع ولو لمرة وحيدة الاقتراب منها .

_ **يحيى :** لماذا يا عماه ، ما يمنعك ؟

_ **ليوناردو :** لو كنت تعرف ماضيَ الأسود لما تحدثت إلي منذ اليوم الأول عندما لجأت إليك في المسجد .

_ **يحيى :** وهل الأمر أسوء من المتوقع ؟

_ **ليوناردو :** حسنا ، دعنا نتوجه إلى مكان ما كي أخبرك

الحقيقة ، فكما ساعدتني في اليوم الأول أصبح لزاما علي أن أخبرك بحقيقتي .

وبعد أن توجها إلى مقهى قريب ، جلسا حول طاولة ، وبدأ **ليوناردو** يتحدث عن أفعاله السيئة التي قام بها طوال السنين السابقة قبل أن يسجن ، وفي كل مرة يخبره بشيء تزداد دهشة **يحيى** وخوفه في نفس اللحظة ، كما يزداد حزنه على الموتى بأبشع الطرق ، لم يكن يتوقع كل هذا منه ، فهو لم يعرفه هكذا ، بل عرفه كعابد يأتي للمسجد كل يوم ، يكون في الصفوف الأولى بالمسجد ، تعرف عليه منذ سنة ، ومنذ ذلك اليوم لم يغب عن المسجد قط ، ولم تفته صلاة قط ، بل أكثر من ذلك لم يفته الصف الأول قط ، وبعد أن أنهى **ليوناردو** حديثه عن جرائمه قال **ليحيى :**

_ **ليوناردو** : منذ أن خرجت من السجن وأنا أتجول هنا وهناك ، لا أدري ما أفعل ، فرفعت يدي إلى السماء طالبا من رب العباد الهداية والتواب ، فاستغفرت ربي وتبت إليه فهداني إلى ما تراه الآن ، فبفضل الله أصبح لي عمل وأصبح لي بيت ، ومن يتخيل من هذا المجرم الحقير أن يشمله لطف ربنا .

_ **يحيى :** لا تقل هذا يا عماه ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ،

يكفي أن تعود إليه وتتوب توبة نصوحا .

_ **ليوناردو :** الحمد لله الذي هداني لهذا ، المهم بعد أن صلح حالي لم أستطع أن التقي بابنتي ، بأي وجه سألتقيها ؟ بأي جرأة ، لا أدري ما أفعل سوى ما ترى ، مراقبتها من بعيد ، وهذا أحسن لي وأفضل .

_ **يحيى :** هذا ليس الأفضل ، فمن حقها أن تعلم ما حل بك فهي تحتاج إلى حنان الأب الذي فقدته ، تحتاج إلى أحضانك تحتاجك ، فالحياة على مثل هؤلاء صعبة جدا ، فلن تستحمل فقدان الأب من جهة وفقدان الأم من جهة أخرى ، رغم تظاهرها بالأمر لكن الأمر صعب ، أرجوك اذهب إليها .

_ **ليوناردو :** حسنا يا بني ، بارك الله فيك سأذهب .

بعد أن أنهى حديثه مع **يحيى** اتجه مباشرة إلى ابنته ، فقد وجدها جالسة لوحدها بعد أن غادر الجميع .

كان الأمر صعبا جدا عليها ، فبعد أن ظنت بأن حياتها ستمر وهي وحيدة يظهر لها والدها من جديد ، تخشى أن تتعلق به ويخذلها مجددا ، تخشى أن تصدقه مرة أخرى فيتركها وحيدة كما فعل من قبل ، كل هذه الأفكار تتصارع في عقلها ، فهي تريده ، تريد أن تحتضنه فقد قتلها الشوق ، لكنها مازالت مترددة ، مازالت تتجنب أن

تظهر له هذا ، غادرت المكان بصعوبة وتركت والدها مكانه ، وعيناها تدمعان ، لا تدري هل هذه دموع الفرح أم دموع الحزن ، لم تعد تعلم أتفرح بعودة والدها أم تحزن لعودة الآلام ؟ وبينما هي متجهة إلى المسجد رفعت يديها إلى السماء داعية بكل صدق من ربها أن يريها الطريق الصحيح ، فهذا ما اعتادت فعله في كل مرة .

أتى **يحيى** إلى **ليوناردو** كي يواسيه قليلا ، فلما رأى **ياسمين** غادرت علم أنها ما زالت لم ترغب بوجوده :

_ **يحيى :** يا عماه ، من الطبيعي أن تفعل ما قامت بفعله الآن ، فهي تراك واقفا أماما منذ غياب طويل ، فقط أمهلها بعض الوقت كي تهتدي إلي شيء ما ، وأنت في المقابل توجه إلي الله داعيا منه أن يجمعكما كما فعل مع يعقوب ويوسف من قبل ، إن الله على كل شيء قدير .

في المسجد :

بعد أن انتهى الجمع من الصلاة صعد **يحيى** إلى المنبر ، فهذا ما يفعله بين الحين والآخر ، التذكير بالموعظة بدأ قائلا :

_ **يحيى :** السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، باسم الله الرحمن الرحيم ، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم

لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ، فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ، عباد الله ، إن المؤمن الصادق إذا أذنب استغفر ، وإذا عصى تاب وإذا غضب استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، كلنا نمر بهذه الأوقات الصعبة لكن القليل من يهتدي إلى الطريق الحق ، الصائب في كل وقت وحين هو التوبة ، توبة نصوحا تكون بمقتضياتها ، وهذا مذكور في الذكر الحكيم ، حديثنا اليوم عن التوبة بإذن الله ، لعل الجميع يعرف قصة الرجل الذي قتل مئة نفس وتاب الله عليه .

في زمن من الأزمان، كان هناك رجلٌ ارتكب ذنبًا عظيمًا ، فقد قتل تسعة وتسعين نفسًا ، ورغم قساوة قلبه ، إلا أنه شعر ذات يوم بندم شديد ، وقرر أن يسأل عن طريق التوبة.

ذهب إلى راهب وسأله :

_ "هل لي من توبة ؟"

فقال الراهب :

_ "لا ، بعد أن قتلت تسعة وتسعين نفسًا ، لا توبة لك !"

فغضب الرجل وقتله ، فبلغ المئة .

لكن الندم عاد إلى قلبه ، وسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلوه على رجل عالم . ذهب إليه وسأله نفس السؤال :

_ "هل لي من توبة بعد أن قتلت مئة نفس؟"

فأجابه العالم :

_ "ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ إن الله واسع الرحمة ، لكن اترك القرية التي كنت فيها واذهب إلى قرية أخرى فيها قوم صالحون يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ."

فرح الرجل ، وخرج قاصدًا تلك القرية الطيبة ، وبينما هو في الطريق ، جاءه الموت .

فاختلفت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب عليه :

قالت ملائكة العذاب : "إنه لم يعمل خيرًا قط !"

وقالت ملائكة الرحمة : "لقد تاب وخرج تائبًا بقلبه !"

فأرسل الله ملكًا حكمًا بينهم ، وقال لهم : "قيسوا المسافة بينه وبين القريتين ، فأي القريتين كان أقرب إليها فهو من أهلها ."

فوجدوه أقرب إلى قرية الصالحين بشبرٍ واحد ، فأخذته ملائكة الرحمة .

ورحمة الله سبقت غضبه ، العبرة هي :

مهما كان ذنبك عظيمًا ، فباب التوبة مفتوح ، والله يغفر الذنوب جميعًا لمن أقبل إليه صادقًا .

علم **ليوناردو** مقصد **يحيى** ، وكذلك كانت الموعظة عبارة عن رسالة **لياسمين** التي رحبت بها بصدر رحب ، وكانت تلك اللحظة لحظة انتقال حياة **ياسمين** من حياة الوحدة إلى حياة أخرى مليئة بالسعادة ، فعادت مع والدها إلى منزلهما ، ومع مرور الأيام أصبح **ليوناردو** الصديق المفضل **ليوسف** ، فكان كل واحد أخا للآخر .

وذات يوم وبينما عائلة آل **ياسين** تتناول إفطارها قال **يحيى** للجميع :

_ يا أهل البيت ، إن ابنكم قد بلغ من العمر كما بلغ المصطفى صلى الله عليه وسلم أثناء زواجه ، وقد حانت الفرصة كي اتبع خطاه ، وإن شاء الله أطلب رأيكم في قولي هذا .

قالت **حفصة** من شدة فرحها :

_ ليس لدينا أي قول ، إذا هيا بنا يا ولدي لنخطبها لك ، ماذا تنتظر ؟

هدأها **يوسف** وهو يحاول كتم ضحكاته :

_ على رسلك يا أم **يحيى** ، لنرى من هي أولا .

_ **حفصة :** يا أبا **يحيى** ، أتشك في اختيارات ولدك .

تدخل **ياسين** محدثا **يحيى :**

_ يا ابن أم ، أخبرهم من هي أولا ، لماذا دخلت إلى الموضوع مباشرة .

_ **يحيى :** (*بابتسامة خجولة*) إنها **ياسمين** ، ابنة رفيقك **ليوناردو** .

قالت **فردوس** وقد نسيت أن صوتها مسموع :

_ الحمد لله ، الحمد لله .

_ **ياسين :** أختي ، ما بك ؟

_ **فردوس :** لا شيء أخي ، لا شيء .

_ **يحيى :** إذا لنذهب من فضلكم إن كان قراري جيدا .

_ **يوسف :** نِعْم الفتاة هي يا ولدي ، قد أحسنت الاختيار .

حفصة وهي تقوم من الافطار لتستعد :

_ إذا قم يا بني استعد ، لنذهب في الحال .

قام **يحيى** واتجه إلى غرفته ، وبينما هو في طريقه التفت

إلى أخته مناديا إياها بالإشارة .

وبعد أن وصلت رافقته إلى غرفته :

_ **يحيى :** اعذريني أختي لم أخبرك ، فقد كنت أنتظر الفرصة المواتية لإخبارك .

_ لا بأس أخي ، المهم أن غايتي تحققت ، وأنت أيضا سعيد بهذا ، التفاصيل لا تهم .

_ أشكرك أختي ، هيا بنا لنخرج ، فربما أبي أخبر عماه بأننا سنذهب .

_ حسنا أخي هيا بنا .

غادر الجميع متجهين إلى بيت **ليوناردو** سوى **ياسين** ، فهو لم يكن متاحا ؛ فقد كانت لديه محاضرة في نفس التوقيت ، لذلك اعتذر من أخيه وأهله عامة .

استقبل **ليوناردو** صديقه بابتسامة ، وفعل نفس الشيء مع **يحيى** ، بينما استقبلت **ياسمين** رفيقة دربها وأمها مصطحبة إياهما إلى غرفتها ، وبعد أن أكلوا قليلا ، خرجت **ياسمين** لتتحدث مع **يحيى** قليلا :

_ **ياسمين :** (*وهي تتجنب النظر إلى وجهه من شدة*

حيائها) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رد عليها **يحيى** التحية أيضا وهو يحاول أن يتماسك ، والخجل يكاد يطغى عليه :

_ وعلينا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف حالكم بخير ؟

_ **ياسمين :** الحمد لله كلنا بخير ، ماذا عنكم أنتم عساكم تكونوا في أفضل الأحوال ؟

_ نحمد الله ونشكره ما زلنا نتنفس وهذا خير دليل على رحمته علينا ، إذا لندخل للموضوع مباشرة ، كما تعلمين إن وفقنا الله وجمع بيننا فسنكون تحت سقف واحد ، لذلك أرغب في معرفة ما تحبينه وما تكرهينه كي أتجنبه ، وإن شاء الله سأحاول أن أكون زوجا صالحا .

_ **ياسمين :** بالحديث عن هذا الأمر يوجد شيء واحد أحبه وهو أن أتابع ما أفعله من تسيير في المسجد والدراسة فيه .

_ **يحيى :** إنه لأمر حسن ، كي لي أن أمنعك عن هذا ، بل إني اشجعك عليه، وبإذن الله كل واحد منا يساعد الآخر في أموره الدينية وكذلك ما يخص الآخرة ، وهكذا نُذكر بعضنا البعض ، هل لك حاجة أخرى ؟

_ **ياسمين :** لا ، هذا كل ما لدي ، ماذا عنك أنت ؟

_ **يحيى :** الشيء الذي أريده هو أن لا يطول الأمر ، يعني أن نقرب الزواج ويكن في أقرب وقت ممكن ، فالموت يحوم حولنا ويستحسن الاستعجال ، يعني الخطبة هي للتعارف فقط ، لكنا لا نحتاجها فأنا أعرفك منذ وقت طويل وربما أنت أيضا كذلك .

_ **ياسمين :** أتفق معك في هذا الأمر .

عادت **ياسمين** إلى رفيقتها وأمها ووجها تظهر عليه أمارات الفرح والبهجة :

_ زفافنا سيكون بعد شهر .

وفي الجانب الآخر عاد **يحيى** إلى عمه ووالده ضاحكا مستبشرا :

_ زواجنا إن شاء الله تعالى بعد شهر .

قال **ليوناردو ليحيى :**

بارك الله لكما وجمع بينما في خير يا بني ، وفي هذه الفترة لنستعد إن شاء الله لهذا اليوم العظيم .

غادر الجميع كل إلى مكانه ، واتجه **يحيى** إلى **لوط** إلى

أعز رفاقه كي يبشره بالبشرى ، استقبله **لوط** بابتسامة عذبة ، فلطالما كان له الصديق الرفيق والمؤنس ، ولما أخبره بالبشرى قال **لوط :**

_ الحمد الذي جعلني أشهد هذا اليوم العظيم ، وأتمنى أن أكون التالي .

_ **يحيى :** فقط ارفع يديك وادعو الله تعالى ، إنه لن يُرجع يدا رفعت إليه صفرا ، واعلم هذا يا أخي ، اعلم فلسفتي هذه ، فهي عبارة عن مذهبي :

كل ما تشعر به تجاه الآخرين من حب أو كراهية فهم يشعرون بنفس الشيء بجاهك ، يعني عندما تحب شخصا فلتكن لدي نسبة كبيرة بأنه يحبك وكذلك عندما تكرهه ، وعندما تحترم شخصا كن على يقين أنه سيحترمك ، خلاصة القول : لا تجعل صدرك ضيقا حرجا واجعله رحبا يستقبل ويحب ويعفو ويصفح .

الناس تنظر إليك كما تنظر إليها ، فإن رفعت قيمة الشخص فهو أيضا سيرفع قيمتك لا إراديا ، وعندما تحتقره فكن على يقين أنه سيحتقرك ، لذلك أنظر للجميع نظرة حب واحترام ، نظرة إيجابية فهي تنعكس عليك قبل أن تنعكس عليهم .

تمت بحمد الله

عبد الرحيم أنجار

أبو زكرياء

رواية
عُد إلى الله
حين تُثقل قلبك الهمومٍ، وتضيق الدنيا بما رحبت، وتجد نفسك تائهًا في زحمة الذنوب... هناك باب لا يُغلق، ونور لا ينطفئ، ويد لا تُرد. عد إلى الله، فهو أرحم بك من نفسك، يعلم ما في صدرك قبل أن تنطق، ويغفر ما ظننته لا يُغتفر.
ليس عليكِ أن تكون مثالياً، فقط كُن صادقًا، منكسراً، عائدًا بقلب يشتاق، فالله لا يرد من طرق بابه، ولا من بكى على عتبته.
عبدالرحيم أنجار
تصميم: رأما الملاجي